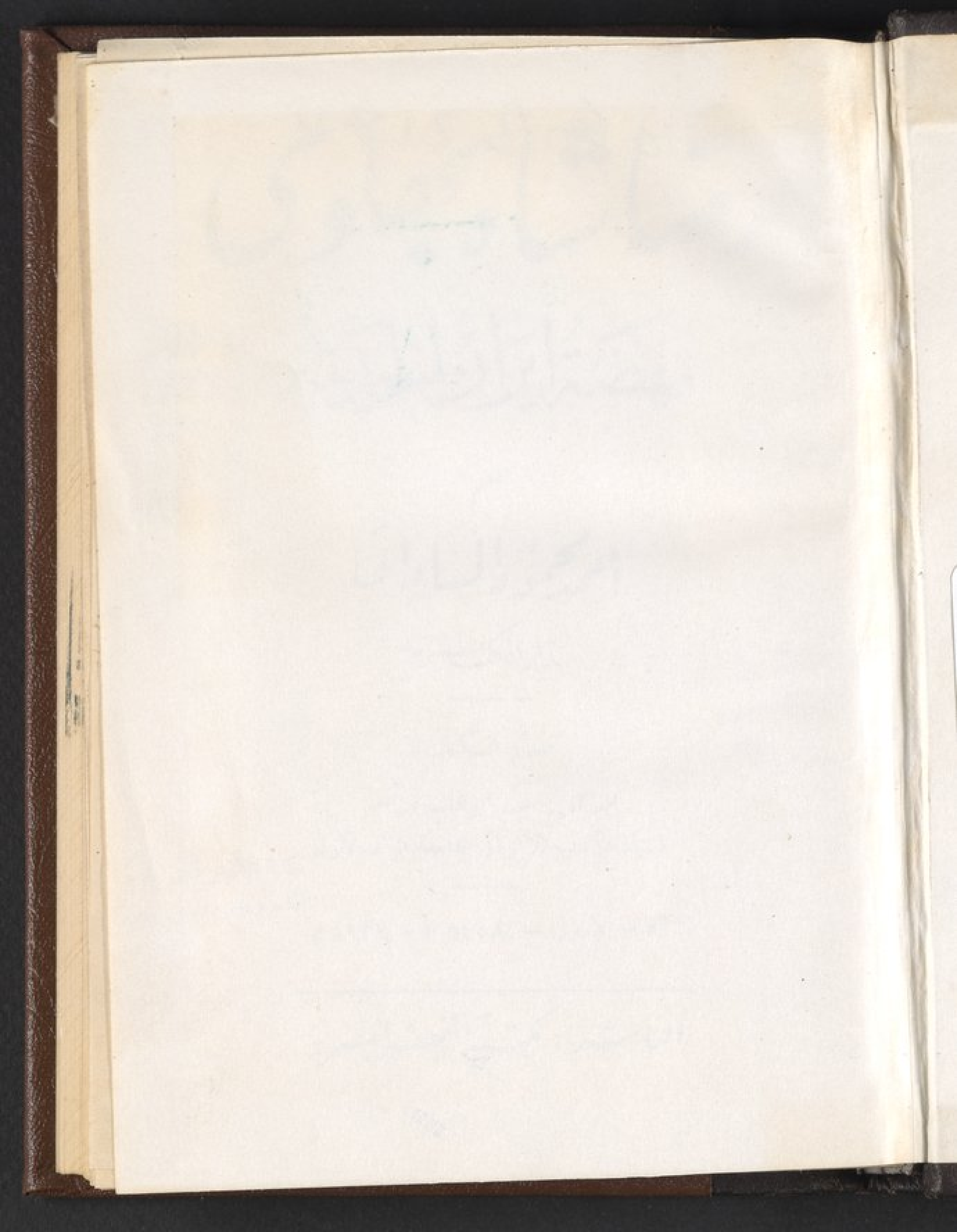

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01166 9698





رضا شاه بهلوى

نهضة إيران الحديثة

بقلم

احمد محمود الساداتى

بدار الكتب المصرية

صدّر الكتاب

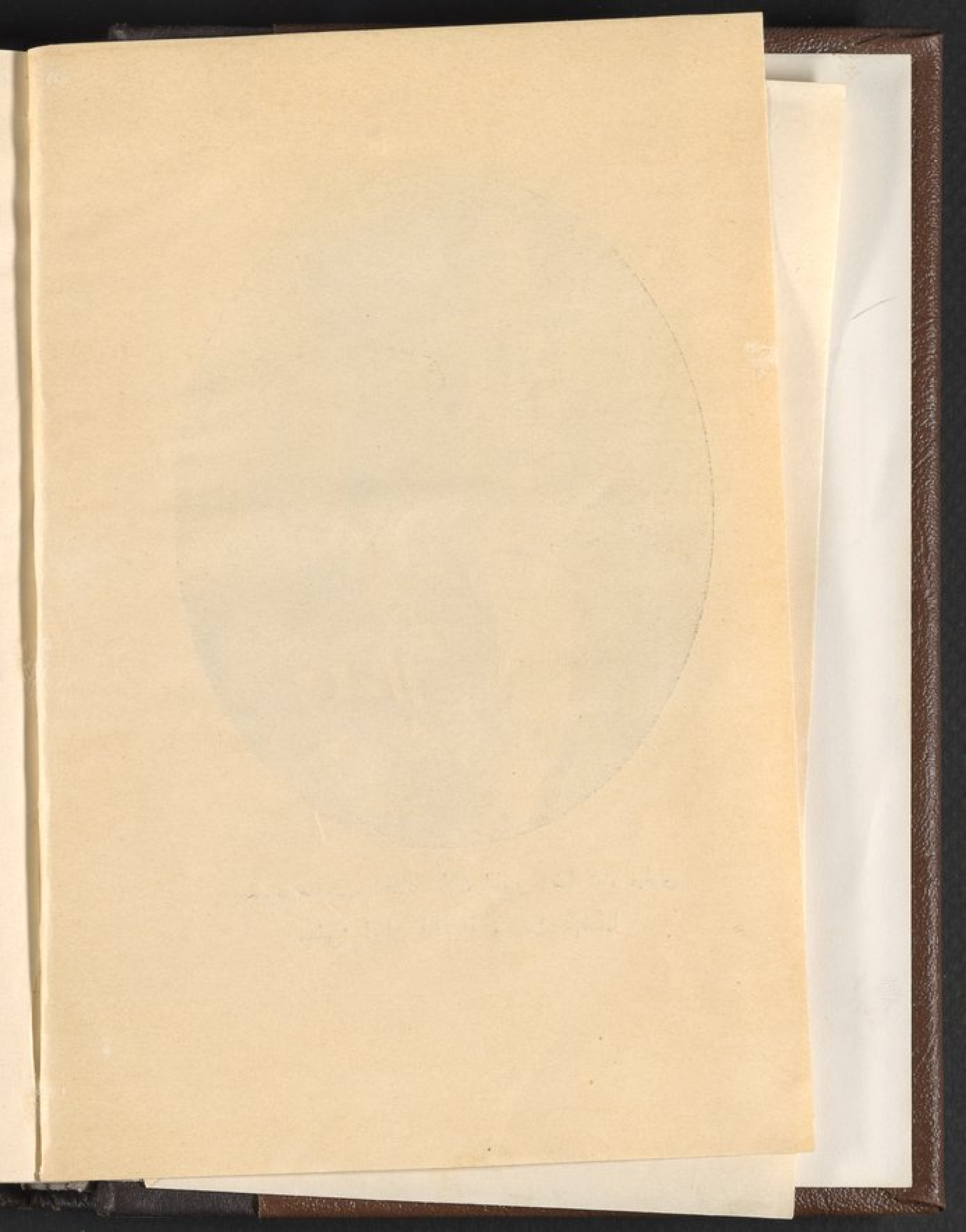
الدكتور عبد الوهاب عزّام
استاذ الأدب الإيرانى بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى — ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م

الناشر : مكتبة النهضة المصرية



حضرة صاحب الجلالة الامبراطور رضا شاه بهلوى
منشىء ايران الحديثة وباعث نهضتها

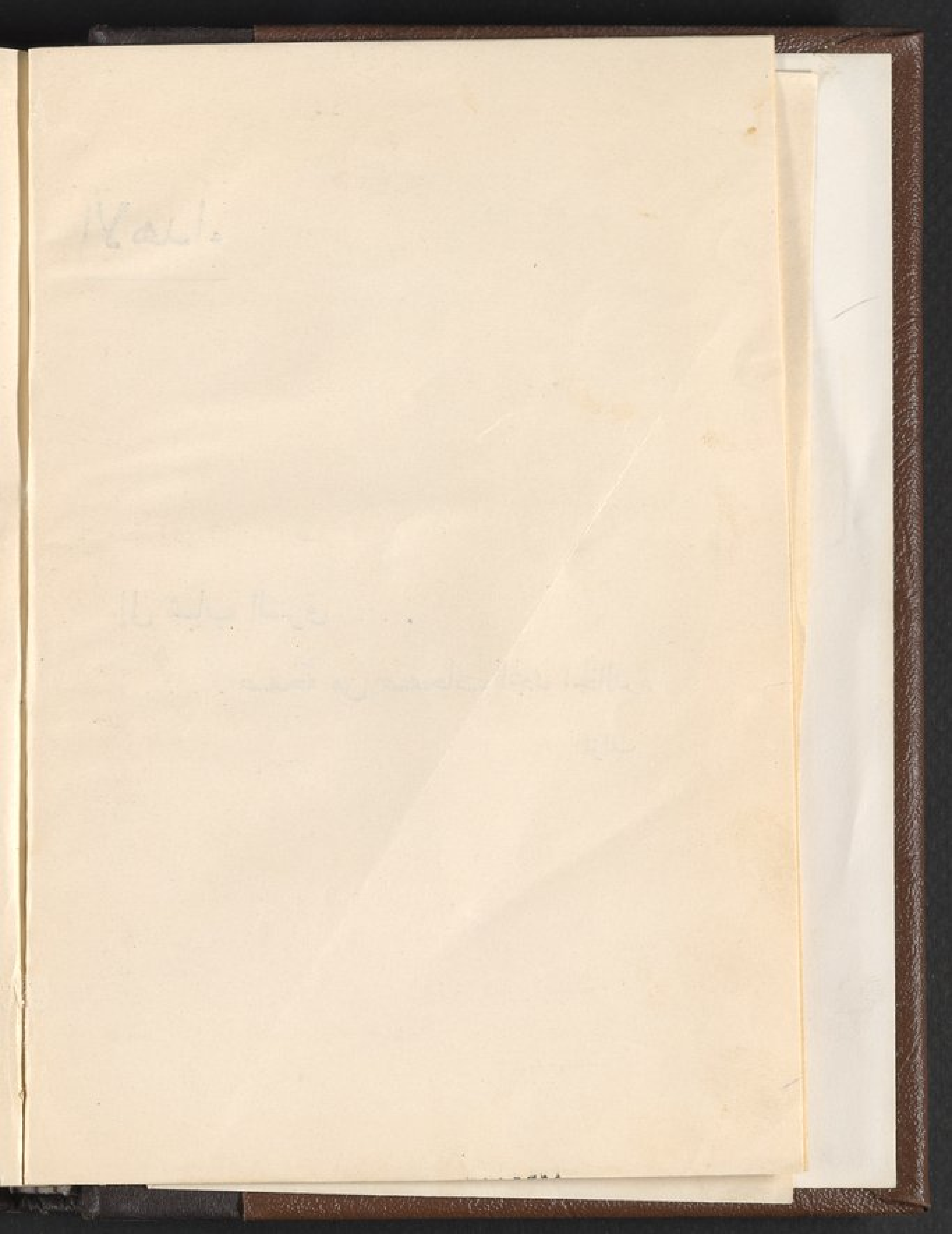


الاهداء

إلى شباب الشرق . . .

. . . . صفحة من صفحات المجد الخالد .

المؤلف



اثبات مصادر الكتاب

مصادر باللغة العربية

(١) تاريخ الطبرى

(٢) حاضر العالم الاسلامى للاستاذ عجاج نويهض والأمير شكيب أرسلان

(٣) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم لأبى منصور عبد الله محمد بن اسماعيل الثعالبى (طبع باريز)

(٤) تاريخ أصبهان للاصبهانى (طبع ليدن)

(٥) التدوين فى أخبار قزوين

(٦) سير الملوك ويسمى نهاية الأرب فى آخبار الفرس والعرب (مخطوط)

(٧) الشاهنامة ترجمة الفتح بن على البندارى ــ وأكمل ترجمتها وصححها الدكتور عبد الوهاب عزام

(٨) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس

مصادر باللغة الالمانية

1— Herbert melzig

Resa Schah, Iran Aufstieg und die Gross-Maechte.

2— Fritz Hesse
Persien.

3— Hermann Norden
Persien wie es ist und war.

4— Paul Schmitz
Al-Islam, Weltmacht von Morgen.

5— Hans Kohn
Geschichte der Nationalen Bewegungen im Orient.

6— Hans Kohn
Nationalismuss und Imperialismuss im Orient

7— Max von Oppenheim
Reise von Syrien. Z. Pers. Golf.

8— Alfons Gabriel
Aus den Einsamkeiten Irans.

—9 Hans Kohn
Orient u. Okzident.

10— Essad Bey
Mohammed.

11— Walther Hinz: Iran, Polilik und Kultur von Cyros bis Resa Schah.

مصادر باللغة الانجليزية

1— Essad-Bey, Paul and Elsa Branden.
Resa Shah.

2— Sir Percy Sykes
History of Persia

3— Sheean
The new Persia.

4— David Frazer
Persia and Turkey in revolt.

5— Wilson
Persia.

6— Valentine Chirol
The Occident and the Orient.

7— Ahsanullah
History of MoslemWo rld.

8— Julius Germanus
Modern History of Islam.

9— Amir Ali
The Spirit of Islam.

مصادر باللغة الفرنسية

1— Matin—Daftary
L'Empire du lion et soleil.

2— Siassi Ali Akbar
La Perse au contact de l'occident.

3— Zangueneh

Le Petrole en Perse.

4— Chivestensen

Histoire legendaire des Iraniens.

5— Raymond Furon

La Perse.

6— Melia Jean

Visages Royaux d'Orient.

7— Guenon Réné

Orient et Occident.

فهرس الكتاب

تصدير الكتاب

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام

رئيس جماعة الأخوّة الاسلامية

هذا كتاب يتضمن طرفا من تاريخ إيران وجغرافيتها واحوالها الحاضرة كتبه الفاضل الأستاذ أحمد الساداتى على ذكر المصاهرة بين الأسرتين الملكيتين ، الأسرة العلوية المصرية والبهلوية الإيرانية .

والكتاب - على صغره - يجدى كثيرا على قرّاء العربية ويُعد فاتحة طيبة لكتب أخرى تفصل الكلام فى تاريخ إيران ومكانتها بين الأمم عامة وصلاتها بالأمم الاسلامية خاصة .

ويزيدنا عناية بهذا الكتاب أن مؤلفه الفاضل اجتهد فى تأليفه ، وجدّ فى مراجعة كتب كثيرة واحتمل المشقة فى هذا لتحقيق مقصد من مقاصد جماعة الأخوة الاسلامية - وهو أحد أعضائها - أراد بهذا الكتاب التعريف بأمة اسلامية لها مكانتها فى ماضى الاسلام وحاضره ، وهذا مقصد من مقاصد الجماعة .

وأراد كذلك أن يشيد بهذه الصلة المباركة بين الأسرتين الكبيرتين والامتين العظيمتين ويتخذ منها فألا حسنا للتقريب بين أهل السنة والشيعة ، ويجعلها فاتحة للدعوة إلى تآلف الفريقين اللذين ألف الاسلام بينهما ، وناهيك بالأخوة الاسلامية وهى العروة الوثقى التى لا انفصام لها وهى حبل الله المتين الذى قال فيه القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

ومن أجل هذا المقصد كتب العالم الفاضل محمد حسن الأعظمى مقالة عن الشيعة وأهل السنة . والأعظمى هندى عاش بين تنازع المذاهب فى الهند فامتلأ قلبه غما ونفسه ألماً لتفرق المسلمين ، فهو ساع ليله ونهاره فى الدعوة إلى الأخوة الاسلامية وهو نشاط لايفتر فى « جماعة الأخوة الاسلامية » .

ولاتتسع هذه الكلمة لمعالجة هذا الموضوع فحسبي أن أقول إن الاسلام دين توحيد وأخوة فمن أحدث شقاقا بين المسلمين فقد نقض الاسلام من قواعده . وان المسلمين جميعا تجمعهم

قواعد الاسلام ويؤلف بينهم كتاب الله وسُنَة رسوله فلا يُفرق بينهم مذهب ولارأى إلا أن يكون هذا الرأى وذاك المذهب أمكن فى نفوسهم وأحب اليهم من الكتاب والسُّنة . فان رأى المسلمون أن تفضيل فلان على فلان أعظم من أخوة الاسلام وأجل من هدى القرآن والسُّنَّة فليتفرقوا وعليهم اثم مايفعلون .

إن أعظم الناس جناية على الإسلام والمسلمون من فرّق بين أتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كل جريمة فى الإسلام تغتفر إلاّ هذه الجريمة التى تحارب الإسلام فى المقصد الذى جاء من أجله ؛ وإن المسلم الذى يقاتل المسلم أويعاديه لخلاف فى الرأى قد خرج من الإسلام عمداً أوجهلا « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء »

وبعد فأشكر المؤلّف الفاضل وأحمد له اجتهاده وحسن نيته ، وأرجو أن يكون كتابه فاتحة حسنة لتعريف الأمم الإسلامية بعضها ببعض ، وجمعهم على كلمة التوحيد والعمل الصالح . والله يوفقه وإيانا للعمل الخالص ابتغاء مرضاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

فى هذا الكتاب تاريخ نهضة من أروع ما عرف الشرق بل العالم الأجمع ، وحياة أمة سمت بماضيها ونهضت فى حاضرها وأخذت تعد العدة لسعادة مستقبلها . وتطالعك بين سطوره صورة خالدة من صور الكفاح بين الشرق والغرب ، بين الشرق الناهض ذى الحضارة الخالدة التى لا تزال الإنسانية تسير على ضوء منارها ، وبين الغرب المستعمِر ، الذى ان اختلفت حكوماته فيما بينها ازاء الشرق ، فهو اختلاف على اقتسام الفريسة الشرقية و نصيب كل منها من هذه الفريسة . وما الحرب العظمى ونتائجها ببعيدة عن الأذهان ، فلم يكن نصيب أنصار الحلفاء من أبناء الشرق بأفضل من مصير أعدائهم ؛ إذ ما كاد النصر يتم لهم حتى قلبوا للشرقيين ظهر المجن ، فلم يكتفوا بأن

نكثوا عهودهم وأفلتوا من وعودهم ، بل تنكروا لهم أشد تنكر عرفته الانسانية .

ومهما يكن من الأمر ، فقد جاء كل ذلك على الشرق بالخير وفاض على أبنائه بالنور . إذ قامت كل أمة تطالب بحقها ونهض كل شعب يذود عن كيانه وكرامته .

وقيض الله لإيران رضا شاه بهلوى إبناً بارًّا وزعيماً مخلصا وراعياً وفيا . ولم تكن مهمته فى الجهاد لتستبين عن بوادر النجاح فى المستقبل القريب ، إذ كان عليه أن يستخلص حقوق بلاده وحياة أمته من بين براثن غولين من غيلان الاستعمار الأوروبى كادا يقتسمان بلاده بينهما اقتساما أبديا ، ولم يكن ذلك الاستخلاص بالأمر اليسير ، هذا دون أن يغفل أن يطهر البلاد من عناصر الفساد والفوضى التى كانت تهيىء السبيل لسيطرة الأجانب عليها . بيد أنه من كانت الحرية غايته والتضحية رايته والوطنية قبلته ، فهو شعلة للحق لن تخبو أو تُطْفأ ، وسيف ماض مشهر لا يصدأ ولا يُكسر .

إن التاريخ مرآة الماضى ومنارة الحاضر ، وهو لن يكون مرآة أجيد صقلها حتى تتضح فيها صورة الماضى ، ومنارة يَشع نورها براقا يستضىء به الحاضر ، إلا إذا قام على ذكر الحقائق الكاملة المستقاة من أوثق المصادر ، لا يتسرب إليها شك ولا تشوبها ريبة .

هذا ما آمل أن أكون قد وفقت له فى هذا الكتاب ، والله ولى التوفيق .

أحمد محمود الساداتى

القاهرة فى

جماد ثانى سنة ١٣٥٨

أغسطس سنة ١٩٣٩

من تاريخ ايران

بلاد إيران مثل غيرها من البلاد ذات الماضى التاريخى البعيد ، لها سلسلة من التطورات والاتجاهات التاريخية المتعاقبة . ولعل إيران هى البلاد الوحيدة التى حافظت على تقاليدها الأولى التى نشأت عليها منذ القدم ، وما لبثت قائمة بها فى مظاهر حياتها ونواحيها الثقافية إلى اليوم ، تلك التقاليد التى انعدمت قريناتها فى البلاد الأخرى وأسدل عليها ستار النسيان من أمد بعيد ، حتى بات لزاما على من يريد أن يلم بالثقافة القائمة فى إيران اليوم أن يرجع فى جزء غير قليل إلى تاريخ البلاد القديم .

الامبراطورية القديمة : إن أظهر ماعرفه العالم بين الأسر الحاكمة فى إيران القديمة ومن الدول البعيدة العهد ، وهى الكيانية والسلوقية والأرزقية ، هو قيام امبراطورية الداراوات الكيانية (حوالى عام ٦٠٠ ق . م) أول امبراطورية عالمية إيرانية

عرفها التاريخ وكانت تمتد من أواسط آسيا حتى حدود أوروبا
ومن حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندى . وإن
فخار إيران وإجلالها للبطولة القوميـة الإيرانية التى كان يمثلها
كورش وقمبيز ودارا أوائل مـلوك الـكيانيين هى التى حـدت
بأباطرة إيران أن يتخـذوا لأنفسهم إلى اليوم لقب ملك الملوك
(شاهنشاه) . ويرمى هـذا اللقب فى مغزاه التاريخى القديم إلى
(ملك كافة البلاد المتحضرة) . وكان قمبيز بن كورش مؤسس
تلك الأسرة أول امبراطور إيرانى عرفه العالم غازيا فاتحا ، وخلفه
دارا ، وكان آخر ملوك تلك الدولة اكزرسيس الذى
انهزم عنـد محاولته فتح بلاد اليونان . وكان الفرس يعتـبرون
الاسكندر والسلوقيين الإغريق والأرزقيين البارتيين حكاما غرباء
على الرغم ممـا قاموا به وبذلوا من جهود فى خدمة البـلاد .
ذلك إلى أن سيادة هؤلاء الحكام كانت الوساطة فى نقل الثقافة
الاغريقية بواسطة إيران حتى حدود الامبراطورية الصينية القديمة .
فـكانت المملـكة الايرانية هى الوسيطة الثقافية بين ثقافة البحر
الأبيض المتوسط وثقافة شرق آسيا .

الامبراطورية الايرانيـة الوسطى : وجاء أردشـير الساسانى فقضى على دولة البارتيين الحاكمة فى إيران بعد أن حكم ذلك البيت وما سبقه من البيوت الأجنبية الأخرى الاغريقيـة أمدا طـويلا . وحكم بيت الساسانيين من عام ٢٢٤ إلى عام ٦٥١ م وأعاد بنـاء الامبراطورية الايرانية وسالف مجدها . وازدهرت فى عهد هـذا البيت لأول مرة فى تاريخ إيران الديانة القومية الزاردشت (عبـادة النار) وقوى نفوذ كهنتها . وروج هؤلاء الـكهنة القول بأن ملوك ساسان هم من بعثهم الإله اورمزده ، فكان ذلك العهد بداية التقاليد الخاصة بالبيت المالك والديانة والرابطـة التى تقوم بينهما . كذلك نص هؤلاء الـكهنة على شرط توليـة العرش لآل ساسان فقط ، ووضعوا الملك فى مصاف القـديسيين . وامتـدت تعاليم الزاردشت الدينيـة حتى نفذت من بلاد ايران صوب الغرب وتوغلت فى آسيا الصغرى ، ولم يوقف من انتشارها إلا اصطدامها بالمسيحية .

واشتبك اردشير مؤسس تلك الأسرة مع الرومان فى مواقع عديدة كتب له النصر فيها وضم إلى بلاده ارمينيا .

وتطورت فى عهد آل ساسان الكتابة الفارسية وعُرف فى ذلك العهد ، الخط البهلوى الذى كتبت به جميع الكتب التى صنفت قبل فتح العرب . أما الكتابة السابقة لذلك فهى التى كتبت بها الكتب المقدسة وأهمها (الزنْدا وستا) . ودخل الملوك الساسانيون فى حروب عديدة بعد ذلك مع قياصرة الروم وأجلوهم عن جزء كبير من آسيا الصغرى وكل بلاد الشام ومصر . وختمت تلك المواقع بنصرة قياصرة الروم واستعادتهم لما فقدوه . ونزلت فى ذلك الآية الكريمة « غُلِبَتْ الرُّوم فى أدنى الأرض وهم من بعدِ غَلبهِم سَيَغْلِبُونَ فى بضع سنين لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون » صدق الله العظيم .

وجاءت الجيوش الاسلامية فقضت على تلك الدولة الساسانية عام سنة ٦٣٧ ميلادية على يد القائد العربى الجليل سعد بن أبى وقاص فى القادسية ، واستولت على عرش آخر القياصرة الساسانين يزدجرد بعد موقعة نهاوند . وفر يزدجرد الى مرو حيث قتل عام ٦٥١ م .

إيران تحت الحكم الاسلامى

حتى نهاية السيادة المغولية

فتح المسلمون بلاد إيران فقضوا على الديانة القومية القائمة هناك وهى عبادة النار ، فكان فى هذا قضاءاً غير يسير على الثقافة القومية التى تعهدها الملوك الساسانيون . ولم يمض قرنان على الفتح الاسلامى حتى كادت الديانة المجوسية تختفى تمام الاختفاء من بلاد إيران ، فلم يتيسر إلا لعدد قليل من رجال كهنوتها الهرب إلى بلاد الهند . ولئن قامت تعاليم زاردشت [1] إلى الآن فى بعض أنحاء الهند فانها قد فقدت كل نفوذ لها ولم يعد لها أى أمل فى استعادة شىء من سالف مجدها . ودرجت لغة الكتب المقدسة الفارسية القديمة فى عالم النسيان باختفاء الديانة

---

(١) هو صاحب عقيدة الزاردشت المجوسية ، وقيل إنه كان رجلا حكيما يدعو إلى عبادة الله فجاء الكهنة من بعده وحرفوا تعاليمه إلى المجوسية .

المجوسية ، واحتلت مكانها اللغة العربية فى المدائن حتى لم يبق محافظا على الأولى إلاّ بعض قبائل الرحل . وأصبحت تلك الامبراطورية العتيدة بعد الفتح الاسلامى وقد فقدت استقلالها أشبه بضيعة من ضياع الخلفاء قرونا طويلة . وتعاقبت عليها بعد ذلك دول المغول والأتراك فلبثت قرونا أخرى عدة ترزح تحت الحكم الأجنبي ، ونفذت تلك الشعوب الدخيلة إلى الأقاليم الايرانية الخالصة واستقر أفرادها بها وامتزجوا بأبنائها .

ونشأ فى بلاد إيران مذهب الشيعة ، وما لبث الحكام الذين كان الخليفة فى بغداد يرسلهم لرد أهل البلاد إلى مذهب الخليفة أن كانوا ينضمون إلى أبناء البلاد فى العمل على انتشار المذهب الشيعى وتدعيم مراكزهم وتحصينها بذلك .

لم تكتسب الثقافة الايرانية كثيرا من اختلاطها بالثقافة العربية إذ كان الغنم فيها للثانية والربح لها وفيرا . وجاءت جيوش المغول فى غزواتها المتعددة تحت امرة جنكيز خان وهولاكوخان فسطوا على معظم ما كان مدّخرا من النفائس

والكنوز فى بلاد إيران وتركوها صحراء جرداء بعد ما أتت جنودهم وخيولهم على كل شىء فيها. ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن تلك البلاد وغيرها من التى أصابها وباء المغول لم تسترد تماما حتى يومنا هذا ما سلبه المغول منها. ولم تقف نكبات المغول وجناياتهم على الشرق عند حد حتى القرن الرابع عشر الميلادى الذى اعتنق فيه جميع المغول الديانة الإسلامية.

أسس تيمورلنك أسرة حاكمة فى إيران لبثت تحكمها زهاء نصف قرن، ولَمْ تقو على توطيد السلام فى هذه البلاد أكثر من هذه المدة إذ انتزعت قبائل التركمان تحت إمرة أوزون حسن الحكم منها. وحكم الأخيرون إيران مدة قصيرة حتى استعاد العرش منهم أسرة إيرانية من جديد وهى أسرة الصفويين.

الدولة الصفوية

1510 - 1524

أسس هـــذه الدولة شاه إسماعيل وهو يرجع بنسبه إلى الإمام على كرم الله وجهـه ، كما كانت تجرى فى عروقـه دماء الساسانيين عن طريق إحـدى بنات يزدجرد الثالث . وقوى ساعد تلك الأسرة فى الاستيلاء على عرش إيران زواج أحد أفرادها من إحدى بنات آخر ملوك التركمان أوزون حسن . وكان الملك الصفوى يُعتبر بحكم انحداره من نسل الإمام على ملك البلاد وإمام أئمة الشيعة بها . وفتح الشاه إسماعيل بلاد خراسان وطارد الأزبكيين وقتل زعيمهم ، على أن سوء الطالع ساق إليه السلطان سليم الأول الفاتح العثمانى الشهير فلم يقو على مقاومته بالرغم من استبسال الجنود الإيرانية ودفاعها المجيد ، فانهزم الجيش الايرانى عنـد چالدران واحتلت الجنود العثمانية جميع ولايات إيران الغربية ولبثت تحت الحـكم العثمانى أمدا طويلا .

لبث المـلوك الصفويون فى عراك مع العثمانيين والأزبك

والتركمان والأفغان حتى جاء الشاه عباس الكبير معاصر الملكة اليزابث ملكة انجلترا ، وأكبر شاهات الأسرة الصفوية إطلاقا ، فكسر الأزبك وطرد العثمانيين واسترد جميع الولايات الغربية التى كانت فى قبضتهم ، وأعاد تنظيم سير القوافل وكفل طمأنينتها وسلامة الطرق والمحافظة عليها ، وأقام الجسور وأعاد للتجارة ازدهارها ونشاطها . وكان أكبر ماقام به هو تجديد مدينة أصفهان التى تعتبر بمساجدها وقصورها وجسورها وأسوارها أروع تحفة من تحف الفن الايرانى . واستعادت بلاد إيران تحت حكم الشاه عباس سالف مجدها وأوج عظمتها . ومات عام ١٦٢٩ م ذلك الرجل الذى تدين له النهضة الفنية والثقافية فى إيران بازدهارها . ولعلنا لانكون مبالغين إذا قلنا إنه إذا كان ثمة فضل فى انتشار الشعر الايرانى وتناقل الناس له وترديدهم أياه إلى الآن فإن ذلك يجب أن ينسب إلى الشاه عباس الكبير . وبوفاته أخذ نجم الدولة الصفوية فى الأفول ، إذ تعاقب على عرش إيران ملوك ضعاف فعادت القبائل الرُحّل تعلن العصيان من جديد ، وانتشرت الفتن والثورات فى داخلية

البلاد حتى لم يعد للشاه من السلطة إلا اسمها . وغزى الافغان بلاد إيران أوائل القرن الثامن عشر واستولت قبيلة غيلزاى بزعامة أميرهم محمود على مقاليد السلطة فى البلاد ، إذ لم يقو الصفويون الضعفاء على أن يصمدوا فى وجهه .

ولأول مرة فى تاريخ إيران وجهت دولة أوروبية نظرها نحو تلك البلاد ، إذ انتهز بطرس الأكبر فرصة ضعف إيران فسلبها عام ١٧٣٢ الولايات الشمالية وجيلان ومازندران وجورجيا الايرانية ، وإن لم يستطع الاحتفاظ بها طويلا . وتغلب الأفغان على الأتراك فى مواقع عديدة ولكنهم لم يفلحوا فى استرداد جميع الأراضى التى كان الأتراك قد وضعوا أيديهم عليها . واضطر آخر ملوك الصفويين تحت ضغط الأفغان أن ينزح إلى شمالى إيران واقليم خراسان ومازنداران حيث نشأ من سلالته وسلالة تركية بيت القاجاريين الذى لعب دوراً هاما فى تاريخ إيران الحديث . وظهر فى الفترة التى سبقت خلافة آل قاجار للصفويين على عرش إيران بطل حَرْبِي مغوار من الحق كله أن يخلع عليه لقب نابليون الشرق ، ذلك هو نادر شاه .

نادرشاه

لم ينحدر نادر شاه من سلالة ملكية وإنما كان أحد أفراد الشعب البارزين . ووصل بشجاعته وإقدامه إلى زعامة قبائل الافشار الرُحّل .

وتقدم نادرشاه عام ١٧٣٠ م إلى الشاه تاهمسب والد الشاه عباس الأكبر وعرض خدمته عليه . فقاد الجيوش الايرانية فى مطارداتها للأفغان واسترد منهم خراسان ومشهد وهيرات ، وقضى عليهم قضاء تاما عند دمجان وأصفهان فلم ينج منهم إلا أفراد قلائل ، ثم عرج على الأقاليم التى كان يحتلها العثمانيون فأجلاهم عنها . وبينما هو يسير من نصر إلى نصر ، كان الشاه تاهمسب يسير بجيش آخر جديد لملاقاة الأفغان الذين هزموه شر هزيمة . واستغلّ نادر شاه هذا الظرف لاكراه الشاه على التنازل عن الملك إلى ابنه عباس واقام نادر شاه نفسه وصيا على الشاه الطفل . ومات عباس بن تاهمسب ، فنصب نادرشاه

نفسه شاها على إيران عام ١٧٣٦ . واستتب لنادرشاه الأمر
فى البلاد وقضى على جميع ثوراتها الداخلية وأخضع جميع قبائلها.
ثم سار بعد ذلك إلى ملاقاة العثمانيين ، فاستولى على بغداد
وتفليس وأجلاهم عن أراضى الجزيرة واستعاد كردستان وجورجيا
وضمهما إلى بلاد إيران . ثم اضطر روسيا بعد مرور عام على
ما سبق من الحوادث إلى تعديل معاهدة رشت التى عقدت
سنة ١٧٣٢ والتنازل عن حقوقها فى إقليمى جيلان ومازندران .
ولما استرد جميع الولايات الغربية التى فقدتها البلاد فى عهد
الصفويين ولى وجهه شطر بلاد الأفغان فاستولى على قندهار وسار
إلى بلاد الهند غازيا فعبر مضيق خيبر بعد استيلائه على كابول
واستولى على دهلى واستحوذ فيها على عرش الطاووس الشهير
الخاص بملوك المغول ونقله إلى إيران ، ثم توغل بجيوشه بعد ذلك
فى أواسط آسيا ففتح بخارى وخيوا وكسر قبائل التركمان التى
لبثت أمداً طويلا تغير على شمال بلاد إيران . وبينما كان يسير
فى إخضاعه لبلاد جورجيا إذْ وافته الأخبار بإغارة العثمانيين من

جديد على جنوب إيران فأسرع إلى لقائهم عند ديار بكر وأفنى جيشهم واضطرهم إلى عقد الصلح عام ١٧٤٦ م والتنازل نهائيا عن المطالبة بالولايات التى كانت تحت أيديهم . على أن نادرشاه انقلب فى آخر أيامه إلى جبارطاغية محب لسفك الدماء .

ولم يمض عام على هزيمته للأتراك للمرة الثالثة حتى اغتاله أحد رجال حرسه عام ١٧٤٧ م وهو فى طريقه للقضاء على فتنة شبت فى خراسان ، فقضى عايه .

آل قاجار

كان نبأ موت نادرشاه هو أكبر بشرى ترقبتها بفارغ الصبر الأقطار التى أخضعها وضمها لبلاده ، فما لبث الأفغان أن أعلنوا استقلالهم على أثر وصول هذا النبأ إليهم ، كما استعادت ولايات أواسط آسيا كذلك استقلالها ، بل وصلت الحالة إلى أن قامت فى بلاد إيران نفسها مشاحنات داخلية قوية نتيجة تنافس الكثيرين على العرش . فاستقل بولاية خراسان أحد أقارب نادرشاه المسمى شاه رخ ، فى حين استقل بشمال البلاد أمير قاجارى يدعى محمد حسين خان وأفلح فى المحافظة عليها وحمايتها ، ووضع زعيم بختيارى يده على جنوب البلاد بعد أن فتح أصفهان باسم أمير صفوى ، فى حين استولى كريم خان زند على السلطة فى الجزء الجنوبى الشرقى من البلاد . وانتهى أمر تلك الأمارات كلها بتوفيق الزعيم القاجارى آقا محمد خان فى الاستيلاء على أقليم السند وجورجيا وخراسان ، ~~ثم أعقبه الشاه محمد~~

القاجارى ، أول قاجارى تمكّن فى مدى ثلاثة أعوام من إخضاع جميع الولايات الايرانية لسلطانه ، ولكن الأمر انتهى بقتله نخلفه ابن شقيقه فى تثبيت أقدام أسرة قاجار بايران وموالاتها لها .

فتح على شاه (١٧٩٨ - ١٨٣٤) : ربما كان عصر حكم هذا الشاه من أهم العصور البارزة فى تاريخ بلاد إيران الحديث إذ يلعب فيه النفوذ الأجنبى دوراً كبيراً ظاهراً لأول مرة فى تاريخ بلاد إيران ، ثم لا ينقطع هذا الدور بل يظل ممتداً قائم إلى عصرنا هذا ممثلا فى انجلترا والروسيا .

إن ما دفع بانجلترا إلى أن تحاول بسط نفوذها على إيران هو خوفها من الخطر الفرنسى الروسى بالنفاذ إلى الهند وتسيير جنودهما إليها . لهذا أرسلت انجلترا عام ١٨٠٠ م ممثلها ملكولم إلى طهران كى يحاول عقد معاهدة واتفاق تجارى مع الشاه ، ولكنه ترك طهران قبل أن يُتم ذلك الاتفاق . وأراد نابليون أن يستغل هذا الموقف فانتهز الفرنسيون فرصة غياب الممثل البريطانى سنة ١٨٠٥ وعملوا على اشتباك بلاد إيران فى حرب مع الروسيا وتحريضها عليها . وفيما

كان الشاه يفكر فى عروض فرنسا إذا بفرنسا تعقد الصلح مع الروسيا ، وبذا لم يجد الشاه أمامه إلا الجنود الروسية متفرغة له. إزاء ذلك عقد الشاه معاهدة حربية مع الانجليز سنة ١٨١٤ ، قضت على كل أمل فى اتفاق بلاد إيران مع الممالك المناوئة لانجلترا وضمنت استقرار إيران فى هدوء وسكينة أعواما . وأخذت انجلترا على عاتقها ارسال بعثة لإعادة تنظيم الجيش الايرانى وتقوية مركز الشاه السياسى حيال جيرانه . وأصابت هذه السياسة توفيقا كبيرا . وأفلح فتح على شاه بعد ذلك فى إعادة بلاد الأفغان تحت الراية الإيرانية كما اضطر تركيا عام ١٨٢٣ إلى عقد معاهدة الصلح فى أرضروم وإلى إعادة حدود إيران الغربية إلى موضع يقرب من موضعها الحالى . وحاول الشاه أن يسترد أقليم جورجيا فاضطر إلى الدخول عام ١٨٢٨ فى حرب مع الروسيا خرج الجيش الايرانى منها مدحورا . مما اضطر الشاه أن يعقد مع الروسيا معاهدة تركمانجاى وأن يتنازل لها عن اقليمى جورجيا وأرمينيا .

خرجت الروسيا من هذه المعاهدة بحق محاكمة رعاياها فى إيران أمام المحاكم الروسية ، دون أن يكسب ذلك الرعايا الايرانيين فى الروسيا مثل هذا الحق ، فجاءت هذه المعاهدة مثبتة للامتيازات الأجنبية فى بلاد إيران ، وتمسكت بها جميع الدول الأوروبية فى تحالفها واتفاقاتها مع إيران مما دعى انجلترا إلى إعادة النظر فى معاهدة عام ١٨١٤ . وجرّ فشل فتح على شاه فى حربه مع الروسيا إلى تغلغل النفوذ الروسى فى إيران وتوطيد دعائمه بها .

محمد شاه (١٨٣٥ — ١٨٤٨) : يدين محمد شاه حفيد فتح على شاه بارتقائه العرش إلى مهاجمته لانجلترا وموقفه المدانى منها وإن لم تَسِرْ حكومته على اتباع المشورة الروسية إلا فى أحوال قليلة . وسار محمد شاه على رأس جيشه إلى التركمان فى خراسان ومنها إلى بلاد الأفغان ، إذ كان أمير الأفغان قد اعتدى على ولاية سيستان واغتصبها ، وكانت من أملاك إيران ، فلم يكتف محمد شاه باسترداده وتأديب الأفغان بل أراد أن يضم إليه قندهار وغزنى

بوصف أنها كانت من أملاك الإمبراطورية الصفوية الإيرانية .
وتوسطت انجلترا عام ١٨٣٦ — ٣٧ فى انهاء الحرب بين إيران
وأفغانستان وحالت دون وصول الشاه إلى غرضه واضطرته إلى
تعيين حدود بلاده عند المراكز التى كانت عليها فى عصر أول
ملوك آل قاجار. إذ كانت انجلترا ترمى من وراء ذلك إلى الحيلولة
دون اقتراب أى خطر أوقوة يكون من شأنها تقريب النفوذ
الروسى إلى حدود الهند . وحاولت انجلترا أن ترغم إيران على
التنازل عن قطعة من الأرض جديدة لأفغانستان ، فكان
ذلك فى عام ١٨٣٨ بداية توتر العلاقات بين إيران وانجلترا .
وعقدت انجلترا وروسيا بينهما اتفاقا دبلوماسيا أرسلت بعده روسيا
سفيرا لها إلى أفغانستان وأطلقت انجلترا فى الخفاء يد النفوذ
الروسى فى بلاد إيران بغية الوصول إلى اقتسام قواتهما لمناطق
النفوذ التى يرغبون فيها بايران وتحديدها . وعاد التفاهم من
جديد بين إيران وانجلترا عام ١٨٤١ ، فأوقفت الدسائس الانجليزية
التى كانت تحاك فى شرق إيران عند حدها .

ناصر الدين شاه (١٨٤٨ – ١٨٩٦) : ما كاد الشاه ناصر الدين يخلف أباه محمد شاه على عرش إيران حتى اتحد السفيران البريطانى والروسى فى العمل معاً على شد أزر السيادة القاجارية فى البلاد .
على أن النفوذ الروسى بقى بالرغم من هذا الائتلاف متفوقاً على نظيره الانجليزى حتى تمكّن فى النهاية من بعث الاختلاف بين إيران وانجلترا بخصوص المسألة الأفغانية من جديد . وجاءت حرب القرم التى اتحدت فيها انجلترا مع تركيا ضد الروسيا ، مضعضعة للنفوذ الانجليزى فى طهران ، وانتهزت الروسيا فرصة قيام التنازع على العرش فى بلاد الأفغان فمهدت لاطلاق يد إيران فى أفغانستان وأتاحت الفرصة لها للتدخل فى شئونها من جديد ، كما أوعزت للشاه أن يعمل على إثارة القبائل الهندية وتحريضها على الثورة فى وجه الانجليز وطلب الاستقلال وأعدا إياهم بالاسراع لنجدتهم على رأس جيوشه الجرارة ، وكانت روسيا ترمى بذلك إلى غسل ما لحقها من الانجليز فى حرب القرم . ولما رأى الانجليز تقدم الجيوش الإيرانية نحو حدود الهند عبر بلاد الأفغان وظهور بوادر

الثورة فى الهند ، أرسلوا ببوارجهم الحربية إلى الخليج الفارسى سنة ١٨٥٦ فاحتلت بندر أبى شهر وأسرت محافظه وأرسلته إلى الهند وأنزلته إلى البر فى موكب حافل وحجبته عن أعين الناس موهمة الناس أن الأسير انما هو الشاه نفسه . وروّج الانجليز هذه الإشاعة بقوة فكان لها تأثير كبير فى إخماد الروح الثورية فى نفوس الهنود . وانتهى الأمر بين إيران وانجلترا بتوسط نابليون الثالث امبراطور فرنسا بينهما وعقد صلح باريز عام ١٨٦٧ . ولم تقض انجلترا على الثورة نهائيا فى الهند إلا عام ١٨٧٠ ، فشرعت بعد ذلك فى تحديد التخوم بين بلاد الافغان وبلاد إيران . وبدأت بهذه المهمة بعثة جولد سميث ، وتم التعيين النهائى للحدود على أيدى بعثة ما كماهون ١٩٠٣ — ١٩٠٦ .

بدأت العلاقات بين الانجليز والإيرانيين فى التحسن بعد ذلك ، كما أخذت إيران تفقد نفوذها فى ولايات أواسط آسيا المتاخمة لأملاكها بسبب توغل الروس فيها وفتحهم لها . واضطرت الروسيا بلاد إيران إلى تعيين الحدود بينهما من جديد وقضت

الأولى على كل نفوذ الأخيرة فى ولايات أواسط آسيا . واستغل الانجليز ضعف بلاد إيران وطالبوها بتعين الحدود بين بلوخستان الإيرانية وبلوخستان الانجليزية .

لم يكن مانالة الروس والانجليز إلا نتيجة انشغال الشاه بأحوال البلاد الداخلية بسبب قيام حركة بابى بحياس «البهائية» واشتداد نفوذ هـذا المذهب وانصراف الشـاه إلى مكافحته دون النظر فى شئون بلاده الخارجية .

وجه الشاه همه بعد فراغه من حوادث بابى بحياس إلى تنظيم جيشه على النمط الأوروبى فاستدعى لذلك ضباطا فرنسيين وإيطاليين ونمساويين وروسين . كما فتح الباب للبنوك الأوروبية ، فتأسس فى عام ١٨٨٩ م البنـك الانجليزى الامبراطورى لبلاد إيران ، ثم بنـك الخصم الروسى عام ١٨٩٠ . وقام الانجليز بعملية مدّ جملة خطوط تلغرافية حصلوا على امتيازاتها ، كما نال الروس امتياز مصايد الأسماك فى بحر قزوين .

ورأى الشاه فى سبيل تقدم البـلاد وتقوية إدارتها إنشاء

مجلس نيابى ، على أن هـذه الخُطة كان نصيبها مثـل نصيب مثيلتها عام ١٨٧٦ فى تركيا ، إذْ فشلت وعاد الحـكم إلى طريقة الدكتاتورية .

وقام هذا الشاه فى أواخر سنى حـكمه بعدة رحلات إلى أوروبا وزار أهم ممالـكها واستُقْبـل فى كل بلاط بأروع ضروب الحفاوة والتبجيـل . واضطره إسرافه فى هذه الرحلات وتزعزع الحالة المـالية فى البلاد إلى عقد عدة قروض فى روسيا وانجلترا . وغنى عن البيان أن تلك القروض قوّتْ من نفوذ البنوك الأجنبية فى إيران وثبتت دعائمها . وكاد التزعزع المالى الذى أصاب حكم ناصر شاه مدة طويلة أن يسلب إيران استقلالها فى السنين العشرة التالية لحـكمه . ولبث ذلك العسر يهدد كيانها أمـدا طويلا ، ويزيد فى تقوية النفوذ الأجنبي واستبـداد الأجانب بمرافق البلاد . وقُتل ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ فى السنة الخمسين من حـكمه إذ اغتاله فوضوى من تلاميذ الزعيم الديموقراطى كمال الدين الذى كان يتزعم حركة ترمى إلى منح

Jamal

إيران الدستور ، فكان نصيبه أن نفاه الشاه ناصر الدين من البلاد .

مظفر الدين شاه (١٨٩٦ — ١٩٠٦) : كان مظفر الدين شاه خليفة الشاه ناصر الدين رجلا ضعيفا مريضا لم يتيسر له إنقاذ مركز البلاد الاقتصادى . واضطره سوء الحالة الاقتصادية واستمرارها إلى عقد قرض من انجلترا عام ١٨٩٨ ، على أنه كان موفقا كل التوفيق فى عهدته إلى خبراء بلجيكيين بتنظيم جمارك البلاد ، إذ نجح هؤلاء الخبراء فى مهمتهم نجاحا باهرا فى إعادة تنظيم الجمارك الإيرانية فأصبح إيرادها يكون ركنا كبيرا فى ميزانية الدولة .

وجاء هذا التنظيم قاضيا على المعاهدات التجارية التى تعقد مع الدول الأجنبية ولا تتمشى مع صالح البلاد . وعقدت روسيا على ضوء لوائح الجمارك الجديدة معاهدة تجارية مع بلاد إيران عام ١٩٠١ ، وحذت حذوها انجلترا عام ١٩٠٣ . وعقد الشاه مظفر الدين مع روسيا قرضا كبيرا بضمان الجمارك وانتهز هذه الفرصة وقرر السفر إلى أوروبا للعلاج . وسافر الشاه إلى أوروبا بقصد العلاج عام ١٩٠٢

مرة ثانية ، وقصد إليها أيضا مرة ثالثة عام ١٩٠٥ ، ولكن ذلك لم يفـده صحيا أو يأتيه بالشفاء المنشود . وأظهرت حكومة الشاة مظفر الدين ضجرها من اشتداد النفوذين الروسى والانجليزى فى طهران ، إذ عمل الروس والانجليز على تثبيت نفوذهما بارغام الحكومة على منحهما امتيازات اقتصادية جديدة . وأتيحت الفرصة للحكومة الايرانيـة عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ بانكسار الروس فى الحرب اليابانية الروسية فتشجع الايرانيون وقاموا يطالبون بمنح بلادهم دستورا يمكن للقوة القومية أن تقف فى سبيل ما يُرغم الروسيون الشاه على قبوله . وأصاب تلك الحركة التى بادرت انجلترا إلى تأييدها وتعضيدها نجاحا كبيرا عام ١٩٠٦ حتى اضطر الشاه إلى منح البلاد الدستور فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٦ . ودعى الشاه الهيئة الدستورية الممثلة للبلاد للانعقاد فى ١ كتوبر سنة ١٩٠٦ ، وعاجلته المنية بعـد انقضاء ثلاثة أشهر من ذلك الحادث .

<u>محمد على شاه (١٩٠٦ — ١٩٠٩)</u> : خاف الشاه مظفر

الدين ، الشاه محمد على على عرش البلاد ، وقد بيت النية على
هدم ما قام به أبوه فى شأن الدستور على الرغم من تظاهره
عند بداية تولى الملك بحب العمل بالدستور ووعده بذلك .
واضطر تحت ضغط حركة ثورية إلى دعوة البرلمان الجديد فى
ديسمبر سنة ١٩٠٧ . وأفلح النفوذ الروسي ، وكان للروس فى
طهران فرقة ممتازة من الجنود القوازق ، جنودها إيرانيون وضباطها
جميعا من الروسيين ، فى حل البرلمان فى فبراير عام ١٩٠٨ . واقترح
الروسيون تعيين أربعين مستشارا بدلا من المجلس المنتخب فكانت
نتيجة ذلك أن قامت الثورة فى تبريز وكتبت الغلبة فيها للثوار
ضد الشاه إذ انضمت إليها الفرق المرابطة فى الجنوب وقبائل
البختيارية وخلعوا محافظ أصفهان وساروا إلى طهران . فتحت
تلك الفرق طهران فى ١٣ يوليو سنة ١٩٠٩ وجردوا فرقة القوازق
التى كانت تحرس الشاه من سلاحها ، والتجأ الشاه نفسه إلى السفارة
الروسية فكان ذلك إيذانا بتنازل الشاه عن العرش . واجتمع
الزعماء الوطنيون عقب هذا الحادث وانتخبوا سلطان أحمد ابن

الشاه محمد على ، شاها للبلاد وأقاموا كبير أسرة قاجار الأمير أسد الملك وصيا عليه نظرا لصغر سنه إذ كان لايتجاوز ثلاثة عشر عاما . وغادر الشاه محمد على المخلوع البلاد فى شهر سبتمبر من العام نفسه ، وحاول أن يسترد عرشه مرتين بمساعدة الروس وتعضيدهم ولكنه لم يُفلح .

الاتفاق الانجليزى الروسى فى عام ١٩٠٧ :

كانت من الأمانى التى تجيش بصدر الساسة البريطانيين عقد اتفاق مع الروسيا بخصوص المسألة الإيرانية وتنازع النفوذين الروسى والانجليزى فيها ، وانتهزت الحكومة البريطانية فرصة ضعف الشاه مظفر الدين وخليفته محمد على شاه فبذلت جهدها لسرعة إبرام هذا الاتفاق . وكان هذا الاتفاق يرمى إلى تقسيم بلاد إيران إلى منطقتى نفوذ تجارى : المنطقة الشمالية وكانت من نصيب روسيا والمنطقة الجنوبية وهى الواقعة على حدود بلوخستان الانجليزية وكانت من نصيب انجلترا .

اتفق الطرفان على جعل المنطقة الجنوبية الغربية منطقة حياد .

وبقى هذا التقسيم سريا بين الحكومتين الروسية والانجليزية واستترا فى الظاهر تحت اسم الاتفاق الروسى البريطانى لعدم التدخل فى شئون بلاد إيران الداخلية . على أن ذلك الاتفاق لم يأت بما كان مأمولا فيه بين الطرفين إذ لم يوقف تنافسهما فى طهران ، بل اشتد هذا التنافس عن ذى قبل . وأيقظ هذا التنافس الروح القومية فى البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبى والقضاء عليه فى البلاد كلها . واعترفت الحكومة الألمانية بكل أسف بحقيقة الاتفاق الانجليزى الروسى عام ١٩١١ . كما أرغمت الحكومتان الروسية والبريطانية ، حكومة الشاه على الاعتراف بحقيقة هذا الاتفاق عام ١٩١٢ . ولم تتخلص بلاد إيران من هذا الاتفاق إلا فى فبراير سنة ١٩١٨ عند ماأعلنت حكومة السوفيت نقضها لجميع الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت مع حكومات غير حكومة الكومنترن .

سلطان محمد شاه (١٩٠٩ — ١٩٢٥) : أمل الوطنيون الايرانيون أن يتوصلوا بواسطة الدستور إلى الحد من النفوذين الروسى والانجليزى

وتغلغلهما فى البلاد ، ثم إعادة النظام والقضاء على الفوضى . ولكنهم كانوا فى أملهم مخدوعين وفى وهمهم على غير تفكير صحيح ، إذ لم يفتأ الروسيون ينصبون من شباك دسائسهم ويوالون مكائدهم ، فحاولوا عام ١٩١١ المرة بعد الأخرى إعادة تنصيب محمد على الشاه المخلوع . فى حين اشتغل الانجليز ثورة فى الجنوب ، وكانوا هم من العاملين على إشعال نارها ، للتدخل فى شئون البلاد والتمهيد لذلك . واضطرت الحكومة القائمة فى سبيل تثبيت قدمها فى الحكم إلى عقد قرض ، ذلك القرض الذى يؤدى إمّا إلى تحكم انجلترا أو روسيا فى الجمارك ووضع يدها عليها أو إلى المطالبة بامتيازات جديدة . ومن الانصاف القول بأن الانجليز ساروا فى إيران على سياسة ترمى إلى سيادة الطمأنينة والسلام فيها ، فى حين كان الروسيون يبذلون كل جهدهم لضم ولايات إيران الشمالية إلى نفوذهم والاحتفاظ بها . وإن النفوذ الروسى ليدين بالشىء الكثير لبعثة مورجان شوستر الأمريكية المالية التى حلت فى البلاد عامى ١٩١١ / ١٩١٢ فزعزعت

المالية الايرانيـة وألحقت أضرار كثيرة بالحالة الاقتصادية .
واستفاد الانجليز مما قامت به بعثة الجندرمة السويدية وما أدخلته
من النظم ، كذلك ومن تنظيم البلجيكيين للجمارك . على أن
ذلك كله لم يفد فى تثبيت دعائم السلطة نفسها فى البلاد .
انتهزت قبائل الرحل هـذا الموقف المضطرب فأعلنت استقلالها
الواقعى وأخذت تتحكم فى المسالك والطرق وتعمـل السلب
والنهب فيها . وأخذت الوزارات فى طهران تسقط بسرعـة
والحـكام يتغير الواحد منهم أثر الآخر حتى أصبحت إيران فى
الفترة السابقة للحرب العالميـة مباشرة ، وقـد استبدّ الروس
بولاياتها الشماليـة ، والانجليز بولاياتها الجنوبية ، ثم الأتراك
بولاياتهـا الغربية ، فلم يبق للعاهل القاجارى فى طهران من
السلطة إلا اسمها فقط .

إيران والحرب العالمية

لم يكن مستغربا عند إعلان الحرب العالمية الكبرى ، والموقف فى بلاد إيران كما سلف ذكره ، إذا كان يتناهبها ثلاث دول ، أن تسارع انجلترا وروسيا وتركيا إلى احتلال البلاد عمليا . بل وذهبت هذه القوى الثلاثة إلى أبعد من ذلك إذ اتخذت من بلاد إيران المحايدة ميدانا للحرب بينها .

سارعت روسيا عقب إعلان الحرب مباشرة باحتلال جنودها لتبريز وأعقبتها بمدينة مشهد ، فى حين أسرع الانجليز بانزال فرقهم فى بوشير ثم المحمّرة باسم حماية امتيازات الزيت التى حصلوا عليها فى جنوب إيران . حدث ذلك كله بالرغم من معارضة الحكومة الايرانية وإعلان حيادها إزاء الحرب العالمية . وحاول الانجليز عند جلاء الجنود الروسية عن شمال إيران عام ١٩١٧ احتلال الشمال أيضا فسارعت قواتهم إلى همذان محاولة احتلالها كى تنفذ منها إلى مدينة باكو وتضع يدها

على ولاية جورجيا وتخضعها لنفوذها . تلك كانت خطة الانجليز وإن لم يصادفها التوفيق أو يحالفها النصر فيها بسبب وقوف الأتراك فى طريقهم . وأفلحت الجنود الانجليزية فى احتلال مدينة مشهد ووصلت حتى سواحل بحر قزوين .

بسط الانجليز سيطرتهم على البلاد ، فقاموا بتكوين فرق إيرانية تحت إشرافهم عرفت باسم فرق البنادق الجنوبية الايرانية ، كما وضعوا أيديهم على الجندرمة . وابتدأ نفوذهم منذ عام ١٩١٨ يشتد فكانت جميع الولايات تخضع لمشيئتهم كما لم تكن حكومة الشاه لترفض لهم طلبا أو تهمل لهم رغبة .

لم تدن البلاد بأجمعها لسلطة الانجليز على الرغم من شدة نفوذهم ، وقوة سلطانهم فاضطر الانجليز فى خريف عام ١٩١٨ إلى محاربة قبيلة قشجاى فى الجنوب مرتين ، كما لم يتمكنوا من إخضاع جنجليز كوتشيك خان فى الشمال . وكان سكان الأراضى الواقعة حول بحيرة أرلوميا فى غرب البلاد معظمهم من الكلدانيين ، فلم تستطع

اربيه

انجلترا أن توقف المذبحة الهائلة التى قامت بينهم وبين الكرد وانتهت باكراه الكرد للكلدانيين على النزوح إلى أراضى الجزيرة .

بدأت دعاية ممثلى السوفيت الروسى عملها فى عام ١٩١٨ بالدعوة إلى تحرير بلاد إيران من الاحتلال الانجليزى . وجاءت الأنباء فى بداية عام ١٩١٨ بالانتصار الألمانى الكبير فى فرنسا ثم استقالة الوزاة التى كانت موالية للانجليز بطهران وخلافة حكومة ثورية وطنية لها . وبدأت حكومة إيران تطالب بجلاء القوات الانجليزية عن جنوبى إيران ، وكانت الوزارة الايرانية الجديدة هى الوزارة التى ترقبها البلاد من سنين عديدة توالت فيها وزارات متعددة ، إذ تزعمت الأخيرة حركة النهضة والتجديد مما أتاح لها أن تلعب دورا بارزا كبيرا فى تاريخ إيران و إحيائها لروح الوطنية القوية فى البلاد وبعثها لها من جديد . ولاحت فى الأفق عقبة جديدة ، إذ انتهت الحرب العالمية بانكسار ممالك أوروبا الوسطى وانهيار آمال الوطنيين فى الأمم المحتلة بسبب ذلك . على أن ذلك لم يكن ليثنى من عزيمة رجال حكومة إيران ،

إذ أرسلو بوفـد منهم إلى مؤتمر الصلح فى باريس ، على الرغم من سابق إعلان حكومة إيران لحيادها ، وكان برنامج هذا الوفد يرمى إلى المطالبة بكل بلاد كردستان وولايات أواسط آسيا ، وتعويض مالى عما لحق بالبلاد من جراء الحرب . ولـكن انجلترا أفلحت فى إبعاد هذا الوفد عن المؤتمر وعدم السماح له باسماع صوته ، شأنها فى ذلك ما جرت عليه مع غيره من وفود الأمم الشرقية الأخرى المظلومة التى وهمت أن تنال حريتها وحقوقها على أيدى هذا المؤتمر . وفى حين كانت هيئة ممثلى إيران فى أيامهم الأولى بباريس إذ سقطت وزارة إيران وحل محلها وزارة عرفت بصداقتها لانجلترا .

الاتفاق الانجليزى الايرانى

عام ١٩١٩ .

فكرت انجلترا ، بعد خروجها من الحرب الكبرى خروج الظافر ، أن تنظم موقفها فى بلاد إيران تنظيما نهائيا . ولم يكن من الطبيعى وقد أصبحت صاحبة السيادة العظمى فى جزيرة العرب أن تترك بلاد إيران وهى قنطرتها إلى الهند ، دون سلطانها ونفوذها ، فتوصلت إلى عقد معاهدة على يد اللورد كرزن وسيربرسى كوكس فى ٩ أغسطس سنة ١٩١٩ بطهران مع حكومة وثوق الدولة . وما كانت تلك المعاهدة إلا حماية مقنّعة وأغلالا مموهة بالذهب . إذ نصت تلك المعاهدةُ فى أول بندٍ منها ، على مثل ما تنص عليه كل معاهدة استعمارية من هذا النوع ، باعتراف انجلترا باستقلال إيران التام . ثم ألزمت حكومة إيران إزاء انجلترا بالتزامات ، منها انتداب بعثة انجليزية لاعادة تنظيم الجيش الايرانى ثم الاشراف الانجليزى على المالية

الايرانية ، والتزامات أخرى بشأن حالات حدوث حرب ضد أحد الطرفين الخ الخ . على أن الظروف لم تتح تحقيق غايات هذا الاتفاق وتنفيذ ما كان الانجليز يبغون من ورائه ، إذ لم يكن الوقت يناسبه ولا الظروف تواتيه . كما قوبل فى بلاد إيران نفسها بمعارضة قوية شديدة . وذهبت فرنسا وأمريكا يريان أن فى هذا الاتفاق محاولة من انجلترا لتأكيد غنائمها فى الشرق بعد ما خرجت من مؤتمر الصلح بنصيب الأسد . كذلك قام الوطنيون الايرانيون يتهمون رئيس وزارتهم بتناوله الرشوة من الانجليز فى سبيل إمضائه لهذه المعاهدة ، وأنه بهذه الاشتراطات قد باع إيران للانجليز ، وطالبوا بالغاء هذه المعاهدة الغاء تاما .

وتشبثت انجلترا بتلك المعاهدة على الرغم من المعارضة الشديدة التى قامت فى البلاد ، وطالبت حكومة إيران بتصديق البرلمان الإيرانى عليها ، كما نصحت شفويا للشاه فى الوقت نفسه بمغادرة طهران ، فلبى دعوتهم وأطاع أمرهم .

الانقلاب الوطنى الكبير

٢١ فبراير سنة ١٩٢١ .

دفعت الانجليز حمى النصر إلى التشبث بسرعة موافقة البرلمان الإيرانى على الاتفاق الإيرانى الانجليزى لسنة ١٩١٩ ، ذلك الاتفاق الذى أدى إلى هياج الرأى العام الإيرانى ضده . ولقد جاء هـذا الاتفاق فى ظرف أصبحت فيـه نيران الوطنية تتأجج فى شعوب الشرق بأجمعه ، فكانت نيران الثورة فى مصر مشتعلة على أشدها ، كما كان كمال أتاتورك يحارب الحلفاء فى الأناضول ، وقامت الهند فى ثورتها على انجلترا ، كما كانت الاضطرابات قائمة على أشدها فى سوريا وبلاد الشام وأرض الجزيرة .

عادت روسيا فى ثوب البلشفية تنازع النفوذ الانجليزى من جديد فى بلاد إيران ، وعمد الانجليز ، فى سبيل طعن البلاشفة ، إلى تسليم أسطولهم فى بحر قزوين إلى القـائد الروسى الأبيض دينكين . على أن الفرق الروسية الحمراء أفلحت فى مباغتة هذا

القائد وحجز هذا الأسطول فى ميناء انزيلى المعروفة الآن ببندر بهلوى ، وهى مصيف الشاه على بحر قزوين ، وأرغموه على الاستسلام لهم . وباغت البلاشفة ميناء انزيلى نفسها فى منتصف سنة ١٩٢٠ وأنزلوا قواتهم إلى البر فى جنح الظلام واضطروا القوات الانجليزية ، وكانت تحت أمرة الجنرال شامبين ، إلى الانسحاب والتخلى عن الأسطول ، وبذا فقدت انجلترا كل نفوذ لها على بحر قزوين .

كان هذا الحادث سببا فى استقالة وزارة وثوق الدولة التى عقدت اتفاق سنة ١٩١٩ مع الانجليز ، بعد أن تربعت على كراسى الحكم عامين ، وذلك لاشتداد روح الكراهية للانجليز على أثر حادث ميناء انزيلى لدرجة استحال معها التحدث فى مسألة الموافقة على اتفاق سنة ١٩١٩ .

ونُقل السير برسى كوكس السفير الانجليزى من طهران إلى العراق وحل محله آخر . وحدث أثناء ذلك أن قامت ثورة كيتشيك خان فى أقليم جيلان وإعلان استقلاله بالمقاطعة ، وساء الحال فى إيران إلى درجة كبيرة وأخذ الناس يُحَملون انجلترا مسئولية كل

هذه المصائب ، وأرسلت الفرق القوزاقية الإيرانية لاطفاء الثورة ، ولم يكن الكفاح فى الحقيقة بين الجنود وبين الثوار وإنما كان بين موسكو ولندن .

كانت موسكو ترى فى بقاء الجنود الانكليزية فى إيران تهديدا خطيرا لولاياتها القوقازية وأملاكها فى أواسط آسيا فعملت على توغل قواتها فى شمالى إيران . وسارت قوات الحمر تحت إمرة الجنرال ستوروسلسكى نحو مدينة رشت واحتلتها ، ثم اشتبكت فى معارك مع الفرق الإيرانية القوزاقية لبثت رحاها دائرة حوالى شهرين . وتمكنت الفرق الإيرانية فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٠ من استرداد مدينة رشت ومطاردة القوات الحمراء حتى جاسيغان ، ولكن بوارج الحمر فاجأت فرق القوزاق الإيرانية عند الممر الموصل إلى ميناء انزيلى وأمطرتهم بنيرانها واضطرتهم للارتداد نحو الخطوط الانجليزية .

خرج ضباط فرق القوزاق الإيرانية من هذا الانكسار بنتيجة اقتنعوا بها تمام الاقتناع ، وهى إبعاد جميع العناصر

الأجنبية عن الفرق . وكان زعيم هذه الحركة الضابط الشجاع رضا خان بهلوى . وجاهر بهذا الرأى أمام رئيس هيئة أركان حرب الفرق ، كما أعلن مبدأ حركته وهو ترأس الإيرانيين للإيرانيين ، إذ كان يرى ذلك السبيل الوحيد لتقوية الحالة النفسية وسموها بين الجنود وجعلهم يشعرون بالقومية ويتحمسون لها . وسرى مبدأ الضابط رضا خان بين الضباط والجنود وتحمسوا له أشد التحمس حتى أصبح يجرى مع الدماء فى عروقهم ومع الحياة فى أرواحهم . وقوى نفوذ رضا خان الضابط بين الجنود وأصبحوا يرون فيه مثلهم الأعلى الذى يفتدونه بالمهج والنفوس ، لايعصون له أمراً أو يخالفون له رأياً . عرف الجنود ذلك كله فى قائدهم وزعيمهم كما عرفوا فى وزارة طهران سلسلة مخازى ومعرات . وبينا كان رضا خان سائراً فى طريقة نهضته يعد العدة لمستقبل الجنود إذا بوزارة مشير الدولة تسقط وتخلفها وزارة سباه دار أعظم ، الذى لم يفلح ، كسابقه ، فى تنظيم الموقف وإدارة دفة الأمور . ولقد حاول هذا الوزير أن يجمع

نواب البلاد للموافقة على الاتفاق الانجليزى الإيرانى لسنة ١٩١٩ ولكنه اصطدم بموقف البلاد السلبى فكان نصيبه الفشل فى كل ماحاول .

قامت بطهران إبان تلك الأزمة حركة ترمى إلى تغذية الوزارة بعنصر جديد من الشبان المثقفين المشتغلين بالسياسة ، وكان زعيم هذه الحركة ورأس هذه الجماعة الصحفى سيد ضياء الدين أشهر كتاب إيران الحديثة وأقدرهم على الاطلاق . وكان سيد ضياء الدين وجماعته يشترطون التغيير والتبديل فى إدارة الحكم إذ كان يشعر هو وأنصاره أن البلاد فى حاجة إلى الانقاذ من الأساس . وكان من رأيه الاعتماد على قرض جديد يعقده فى انجلترا يحقق به غاياته ، وإن ظهر للشعب والرأى العام بمظهر العداء للانجليز . وكانت خطته ترمى إلى تأليف فرقة مكونة من خمسة عشر ألف جندى يكون قوامها الأرمن والقوزاق الموجودين بطهران . ووجد أن تسليح هذه الفرقة يحتاج إلى عقد قرض من الانجليز يقدر بمبلغ مليون جنيه انجليزى .

واشترط الانجليز لعقد هـذا القرض أن تكون إمرة هذه الفرقة للضباط الانجليز . وغنى عن البيان أن فى قبول هذا الشرط تقوية للنفوذ الانجليزى مما يكون من ورائه هدم جميع مشاريع الحكومة الاصلاحيـة ، وفيما كان ضياء الدين يفكر فى هذا الموقف ، إذا بالأخبار تأتيه بأن بعض ضباط الفرق الإيرانية القوزاقية تجيش فى نفوسهم نفس فكرته لإنقاذ البلاد ، على أن يقوم تأييدها على أسنة رماحهم ورصاص بنادقهم حين يعهد اليهم بذلك ، لا على أكتاف الجنود الأجنبية .

لم يتردد سيد ضياء الدين تلقاء ذلك أن يدخل فى مفاوضات مع أركان حرب تلك الفرق المعسكرة فى أقليم قزوين .

وقبع القواد والمندوبون الانجليز بإيران فى اختلافهم مع ساستهم بلندن يؤمنون أنهم لابد نائلون بغيتهم ومآربهم ، وأنَّ تخبُّط سياسة الحكومة فى إيران إنما يُعَجل سير الأمور لصالح انجلترا . كان الرأى فى لندن على العكس إذ رأوا أن الموقف يطول وأن الوقت يمر دون الحصول على فائدة محققة . ونفد صبر

أولى الأمر فى دوننج ستريت فأصدروا أمرهم إلى الفرق البريطانية بالانسحاب حالما تسمح ممرات الجبال بذلك ، ولتترك إيران تدبر مصيرها بنفسها .

ظهرت القوات الحمراء الروسية فى الأفق تهدد إيران من جديد فصارت فرقتان منهم لتقوية الحامية الحمراء المحتلة لمدينة رِشْت . وانقلب الموقف الحكومى فى فبراير سنة ١٩٢١ إلى حالة تماثل الحالة فى فرنسا وتطابقها تماما من ناحية توالى إسقاط الوزارات وتوالى تأليفها ، وركدت الأمور وتعطّلت الأعمال الحكومية ثم توالت بعد ذلك الأنباء بثورة القبائل الرُّحل .

عقد مشاور الممالك السفير الايرانى فى روسيا فى ذلك الوقت اتفاقا مع روسيا السوفيتية ، لم يكن ينقصه إلاّ اعتماد الحكومة الايرانية وموافقة مجلس نوابها . وقد نص هذا الاتفاق على الاعتراف باستقلال إيران التام ، ثم اعتراف حكومة السوفيت أيضا بالغاء جميع الاتفاقات السابقة التى أرغمت فيها حكومة القيصر الروسى حكومة إيران على قبولها . كما أعلنت روسيا

السوفيتية استنكارها الشديد لمحاولات الدول الأوروبية التى ترمى
إلى القضاء على الشعوب الاسيويه . كذلك أعلنت موسكو فى هذا
الاتفاق عداءها لكل حركة ترمى إلى أضعاف بلاد إيران أو إذلال
شعبها أو المساس بحريتها واستقلالها . وتنازلت الروسيا فى هذا
الاتفاق عن جميع الأراضى الإيرانية التى استحوذت عليها عام
١٨٩٣ ، كما أعلنت استعدادها لنجدة الشعب الإيرانى بفرقها فى
حالة وقوع أى اعتداء أجنبي على إيران . وتنازلت روسيا لإيران
عن كل ديونها وعن بنك الخصم الروسى وكافة فروعه فى
إيران ، كما سلمت روسيا إلى إيران جميع خطوط التلغراف ومبانى
الموانى ، التى أقامتها فى إيران والتى كانت تحت أيديها ، سليمة
كاملة . ورضيت روسيا فوق ذلك أن تُنْشىء إيران أسطولا
لها من جديد فى بحر قزوين على أن لا تتنازل إيران يوما ما
بجزء من هذا الأسطول إلى طرف ثالث أو تضعه تحت تصرف
أية قوة أجنبية أو تخصصه لخدمتها . كذلك تنازلت روسيا
عن جميع حقوقها وحقوق رعاياها وامتيازاتها فى إيران ، كما

تنازلت عن كل مايخص الارساليات الارثوذكسية الروسية هنالك ، بما فى ذلك مبانيها ومؤسساتها التى انتفعت بها حكومة ايران فى تأسيس مدارس بها .

جاء هذا الاتفاق السخى سندا قويا لإيران فى مفاوضاتها مع الدول الأوروبية عام ١٩٢٨ لالغاء الامتيازات الأجنبية فى إيران الغاء تاما . وتم عقد هذه المعاهدة بموسكو فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١

كانت أزمة الحكم تشتد يوما بعد يوم ، وموسكو تراقب الحالة فى إيران عن كثب ، والفرق الانجليزية تتأهب لمغادرة البلاد ، ولكنها لاتزال بها ، حتى كان يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢١ إذ وصلت فيه أزمة الحكم اقصى درجاتها .

مالبثت نفسية جنود الفرق الإيرانية القوزاقية بعد خروج الضباط الروس منها أن قويت والتهبت نار القومية والوطنية بين جوانح الضباط والجنود ، فملئت نفوسهم واحتلت قلوبهم . وبينا كانت الحال كذلك ، على عكس ما كانت عليه حكومة

طهران التى لم تكن تدرى ماتفعل أو تبرم ، إذا برضا خان يفاتح ضباطه بقرار حاسم يرمى إلى مطاردة الفرق البريطانية واجلائها عن مناطقها واحتلال تلك المناطق ، فيسد بذلك الطريق إلى طهران أمام الفرق الحمراء . وبذل ضباط الفرق قصارى جهدهم وغاية مافى وسعهم لاذكاء روح الحماس وحب الكفاح والقتال فى نفوس الجنود . وكانت قيادة الفرق جد مطمئنة من الناحية المالية اعتمادا على امدادات حكومة طهران بعد قطع الانجليز مفاوضاتها معها . وكان الضباط يرون فى فرقتهم أمل إيران ، إذ كانو يعتبرونها الفرقة الوحيدة القادرة على حماية البلاد والذود عنها . ورأى الضباط أنهم لتحقيق استقلال البلاد يحتاجون إلى معاونة رجل سياسى يكون على رأس الحكومة لتلبية مطالب الفرق وتنفيذ رغائبهم .

لمسوا فى سيد ضياء الدين الرجل الذى تتفق مبادؤه القومية مع مبادئهم ، فارسلوا إليه بضابطين من ضباط أركان الحرب ممن تشبعوا بالثقافة الأوروبية ، وهما الضابط مسعود خان والضابط

كاظم خان ، وكان الأخير يعرف سيد ضياء الدين حق المعرفة اذ كان قد اشترك معه فى بعثة أرسلت إلى باكو .

كان برنامج ضياء الدين قويا بألفاظه وعباراته فأمل أن تكون الفرق أداة يستغلها لتحقيق أغراضه . وقبل رجال الحرب هؤلاء أن يقفوا بجانبه إذ كانوا مقتنعين بأن الانقلاب فى الحكومة لاتقوم له قائمة إلا على أكتاف الجنود وبحد السيف .

دفع قرار الانجليز بالجلاء ، القادة العسكريين إلى العمل والمبادرة بتنفيذ خطتهم فى الحال . ولم تكن الجنود القوزاقية من حرس الشاه فى إيران تدرى شيئا عن الموقف ، كما لم يكن أولئك الجنود ليهمهم أمر الوطنية أو القومية كثيرا ، فما كانت تلك الفرقة تعرف لها واجبا أو كان لديها من الشعور إلا حماية الشاه ، فهى لاتتوانى أن تسرع إلى الدفاع عن الشاه اذا قيل لها أن هناك خطر يتهدده . على أن الحالة النفسية والأخلاقية كانت بين هؤلاء الجنود لحسن حظ القادة العسكريين تسير من سىء إلى أسوأ . وحدث أن عصى أحد الضباط فى حرس الشاه القوزاقى أوامر رئيسه

ودب دبيب العصيان فى بعض النواحى ، فصدرت الأوامر باستبدال هؤلاء القوزاق بفرقة جديدة من الجنود الايرانية المعسكرة عند قزوين . وما أن وصل هذا الأمر بالبرق إلى قزوين حتى سارعت بإرسال فرقة قوامها الفان وخمسمائة رجل ، بدلا من السبعمائة رجل المطلوبين ، إلى طهران . ثم تلى هذه الرسالة البرقية رسالة أخرى بطلب سير جميع الجنود إلى طهران لتنفيذ الخطة المرسومة ، ثم وردت رسالة ثالثة تستعجل السير وتستحث الفرق على الزحف . وسارع مسعود خان إلى طهران ليقف بجانب سيد ضياء الدين ساعة الفصل ولحظة الخطر . وحلّت الفرقة الايرانية القوزاقية محل فرقة مشاة طهران والكتيبة العراقية وأورطة الخيالة وبطارية المدافع الجبلية وبطارية مدافع خفيفة بعد أن أجلتها عن ثكناتها . وكان انتخاب رضا خان لإمارة هذا الانقلاب المسلح وإدارة دفته ، ذلك الانقلاب الذى قام ضد العدو فى الداخل والخارج وطهر العاصمة من كل نفوذ أو تدخل خارجى ، تكليلا لسيرته الحربية وفوزا باهرا عظيما له .

ينحدر رضاخان من بيت حربى قديم فى ولاية مازندران وهى الولاية الوحيدة التى حافظت على كيانها ودمائها الإيرانية فلم تفلح جيوش اليونان أو المغول أو العرب أو الترك فى النفوذ إلى مسالكها اوالتوغل فى جبالها . ولد رضاخان فى ١٦ مارس سنة ١٨٧٨ فى مكان اسمه الاشت بمنطقة سوادكوه فى مقاطعة مازندران من أب عسكرى هو الصاغ عباس على خان أحد ضباط فرقة سوادكوه ذات التاريخ العسكرى المجيد . وكان جد رضاخان لأبيه مراد على خان ، قائد تلك الفرقة ، قد استشهد فى ميدان الشرف عام ١٨٥٦ م أثناء محاولته ، على رأس تلك الفرقة ، استرداد بعض الأراضى الإيرانية التى كان الأفغان قد استولوا عليها وكانت انجلترا قد تدخلت فى هذه الحروب مؤيدة للأفغان ضد الإيرانيين . ومات والد رضا خان فى العام الأول من حياة طفله ، فكفل الطفل عمه نصر الله شاه وكان قائداً لقوات ولاية مازندران . والتحق رضا خان بالجندية فى بداية شبابه وانخرط فى سلك فرقة القوزاق عند نهاية القرن

الماضى ، ثم أخذ يتسلق الدرجات العسكرية بسرعة . وكان من جليل مزاياه اعتماد رؤسائه عليه كثيراً وثقتهم المطلقة به فى المهمات الجسام والمخاطرات الشديدة . وخدم رضا خان فى طهران وهمذان وكرمنشاه ثم فى الولايات الغربية فكان موضع إعجاب زملائه لما اتصف به من الشجاعة العظيمة والشهامة ، إذ حدث فى إحدى الحملات التى جُردت لصد العدو فى كرمنشاه أن قرر جميع الضباط والجنود الانسحاب عند ما وجدوا أنه لم يعد فى مقدورهم صد طوفان العدو المتدفق ، ولـكن الضابط رضا خان لم يقبل أن ينسحب وصمد للعدو وهاجمه بأفراده القلائل حتى كتب له النصر المبين . وا كتسب الضابط رضا خان فى جولاته على رأس كتيبته القوزاقية بهمذان ، إبان مطاردة العدو ، خبرة كبيرة بالمواقف الحربية والعسكرية .

وكتب أحد الضباط الأجانب المحايدين يصف رضا خان ، وكان قد تعرف به فى العام السابق لحدوث الانقلاب ، فقال :

« كان جد ملتزم للصمت الشديد عند ما رجوته أن أعرض عليه خط

سيرى ، فتبسط معى بعد ذلك فى الحديث وابث قرابة الساعة يمطرنى بالسؤال تلو الآخر . ولقد تملكتنى الدهشة والاغتباط أن لاحظت سرعة تفهمه لأكبر المسائل المعقدة والمامه بها » .

سار رضا خان على رأس فرقته ، وكان قوامها الفين وخمسمائة رجل تعاهدوا على النصر أو الموت فى سبيل إنقاذ طهران وتخليصها مما بها من الجبناء والضعفاء القابضين على زمام الأمور فيها . وقبع سيد ضياء الدين رئيس الوزراء المنتظر المدخر ومعه معاونه الحميم الأرمنى أبيكيان ومسعود خان ، وهما الوحيدان اللذان كانا يتدخلان فى كل أمر يحدث بطهران ، فى انتظار وصول النجدة . ووصل خبر تدبير الانقلاب إلى الحكومة القائمة بطهران فى ١٩ فبراير ، وذلك عندما بلغ نبأ مسير القوات القوزاقية ، وأسرع الشاه بارسال السردار همايون لملاقاة الفرق القوزاقية وإبلاغها أوامر الشاه بالعودة إلى معسكراتها عند بحر قزوين . وحين لم تأبه الفرقة لقوله قفل عائداً إلى الشاه فى عجلة شديدة . وبلغ الذعر والارتباك من حكومة طهران والشاه أشدهما ، وتساءلا

إن كانت هذه الفرق القوزاقية قد تواطئت مع البلاشفة .

وأرسل الشاه من جديد أحد أعضاء حكومته ، بصحبة سكرتيره ، لملاقاة الفرق والاستفسار منها عن بغيتها وما ترمى إليه . فالتقيا بها فى معسكرها على مسيرة اثنى عشر ميلا من طهران ، وأحسن القوم وفادتهما . وبرز سيد ضياء من بين الصفوف وأوضح للوافدين أن إخلاص الفرق القوزاقية للشاه أمر لا شك فيه ، وأنه لا علاقة تربطهم مع البلاشفة ، إنما هى مطالب قومية يريدون تنفيذها وتحقيقها ، ومن بينها إقالة الوزارة القائمة . واستبان للناس ثبات تلك الفرق مما قضى على أى شك فى قوة عزيمة قائدها رضا خان الذى سار إلى طهران ، دون أن تستطيع الحكومة إيقافه ، لكى يطهرها ويجعل منها عاصمة تليق بعظمة إيران .

أخذت حكومة طهران تفكر إبان ذلك فيما تستطيع أن تعده من وسائل الدفاع عن المدينة . وأرسلت حامية الوسط بمدافعها المحشوة إلى باب قزوين لملاقاة المهاجمين ، فما لبث أفراد

تلك الحامية أن سارعوا بالانضمام إلى الفرق القوزاقية حين لاحت لهم طلائعها . وما كان ذلك عن جُبْن إنما كانت الخطوة الأولى فى سبيل تكوين وحدة حربية قومية ، مظهرين بذلك أن رغبة رضا خان وإرادته هى ما برحوا يمنون النفس بها ، لا بأن يقوم بعضهم فى وجه البعض الآخر .

أخذ الانقلاب دوره سريعا ، إذ عجلت الجنود القوزاقية بوضع يدها على إدارة البوليس ومراكزه فى المدينة ونزع السلطة منه ، فاحتلت الجنود مكاتب البوليس ومراكزه وقبضت على كثيرين من أفراده . وقامت أثناء ذلك بعض مناوشات صغيرة قتل فيها أربعة من رجال البوليس وجرح اثنان من الجنود القوزاقية . وانتهى الأمر بان طلب حكمدار البوليس فى المدينة ، وكان جنرالا سويديا ، مهلة إلى الصباح يطلب فيها إلى الشاه الإذن بأن تعمل الجنود القوزاقية جنبا لجنب مع رجال البوليس . وقصد الجنرال السويدى إلى الشاه فى الصباح واستأذنه فيما سلف فأجابه إلى ما طلب . وعادت الطمأنينة إلى نفس الشاه إذ

علم أن الجنود القوزاقية ما تزال تكن الولاء والاخلاص له ، بعد أن قضى الليل كله يحزم حقائبه استعدادا للفرار .

اخذت الجنود القوزاقية تعمل جنبا لجنب مع رجال البوليس ، واصبح رضا خان حاكم المدينة المطلق ، واتحدت كافة الجنود طائعة فى اغلبيتها مختارة تحت إمرته . وما أتى صبح اليوم التالى حتى استيقظت المدينة على صوت حركة غير عادية ، والجنود تجوب الطرقات ، وأبواب المدينة مغلقة ، وقد وقف عليها الضباط يفتشون السيارات ووسائل النقل تفتيشا دقيقا . كما وقف حرس منهم بأبواب السفارات الأجنبية فى المدينة ، وكان المقصود بحراسة السفارات طبعا أن لا يتسرب أحد من رجال الحكومة السابقة إلى السفارة التى كانت تستغل العهد الماضى لصالحها . وأفلح كثيرون على الرغم من هذه التحوطات فى الهرب ، كما نجح رئيس الوزراء السابق سباه دار أعظم فى الالتجاء إلى السفارة الانجليزية . ولم يكن اسم رئيس الوزراء السابق ضمن القائمة التى حوت اسماء السياسيين الذين أجرموا فى حق الوطن وتقرر القبض عليهم . كما قبض

على الذين أرادوا استغلال هذا الظرف والقيام بثورة شيوعيا أمثال الأمير فرمان فرما ، والأمير فيروز الذى كان يروج للاتفاق الانجليزى الإيرانى (اتفاقية عام ١٩١٩) والذى كان قد اتفق مع محافظ كرمنشاه على القيام بانقلاب شيوعى لصالحه ، وان لم تُكْشف تلك الخطة إلا فيما بعد .

ألف سيد ضياء الدين الوزارة الجديدة وتقلد رضا خان منصب رئيس أركان حرب الجيش وسرداره ، ووضعت الحكومة الجديدة برنامجها الذى يتلخص فى ناحية السياسة الخارجية فى رفض الاتفاق السرى الانكليزى (اتفاقية ١٩١٩) ، وفى ناحية السياسة الداخلية فى إصلاح الادارة والعدالة والقضاء ، والتعجيل بنظر القضايا المعلقة والفصل فيها ، وكانت تبلغ الأربعة آلاف ، وحل مصلحة الأفيون والاستغناء عن موظفيها والقيام بالاصلاح الاجتماعى واصلاح الاراضى .

لبثت تلك الخطة البديعة مخطوطة على الورق يحتاج أصحابها إلى القوة والمال لتنفيذها ، فلم تكن الخطب والنداءات والبرامج

بمفردها لتأتى للشعب بنتيجـة ، إذ كان جـد تواق إلى رؤية التنفيذ العملى . ولم تكن أهم نتائج هذا الانقلاب تنفيذ خطط الاصلاح التى سبق إعلانها ، إنما صار إلى تقوية الروح العسكرية ونفوذها ثم مبادرة المجلس النيابى إلى التصـديق على اتفاقيـة موسكو بعد خمسة أيام من حدوث الانقلاب أى فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ ، ذلك الاتفاق الذى ضم إلى إيران أراضى جـديدة وخرجت منـه بمغانم كثيرة ، كان فى أولهـا أن أمنت جانب الروسيا . كما أعلن مجلس النواب أيضـا رفضه الإجماعى لاتفاقية سنة ١٩١٩ الانجليزية .

بادرت الجنود الانجليـزية عقب تلك الحوادث بالاسراع فى الجلاء وحلت محلها فى الحال الفرق الإيرانية القوزاقية ، ولا سيما فى المنطقة الواقعة عند قزوين . لـكن لم تغادر الفرق الحمراء المناطق الإيرانية الشمالية بنفس السرعـة التى كانت تغادر بها الجنود الانكليزية البلاد إذ كانت الأولى تخاف غدر الثانية ولا تأمن جانبها دواماً . ووقع بين الجنود الحمر والجنود الإيرانيين ،

إبان حركة الجلاء ، بعض الحوادث عند الحدود بطبيعة الحال ، ولكن أمرها انتهى بتقديم حكومة موسكو الترضية الكافية لحكومة إيران .

انصرف رضا خان إبان تلك الحوداث يفكر فى حالة البلاد ، وخرج من تفكيره بأن الأمور لا تستقر فى نصابها إلا عند تكوين جيش وطنى كبير موحد كامل العدة والسلاح يكون قادرا على حماية الحدود واقرار الأمن فى أنحاء البلاد . وتقلد رضا خان وزارة الحربية ووضع يده على وزارة المالية لتدبير المال اللازم لتنفيذ خطته بخصوص الجيش ، ثم بدأ بضم الفرقة القوزاقية وحامية الوسط وفرق الصيادين والمتطوعين بعضها إلى بعض ، مكونا منها وحدة تكون بمثابة نواة للجيش الوطنى الجديد . واتخذ قصر قاجار مقرا للقيادة ، واختار أحد ضباطه المقربين الذين يثق بهم ، وهو الضابط أمان الله ميرازا ، رئيسا لأركان حربه ، وطفق يصلح من أمور الجنود فى ناحية العناية والسكن وتوفير الأمور الصحية والزى مما جعل الجندى الايرانى يظهر

بالمظهر اللائق أمام مواطنيه الذين عادوا إلى احترامه وتقديره .

كان رضا خان يرمى إلى قيام كل إصلاح على أساس الجندية وعلى أساس قدرة افراد الشعب على حماية وطنهم ، إذ دلته التجارب على أن كل اتفاق ديبلوماسى إنما تخرج منه الأمة الضعيفة ، التى لا تقدر على حماية أراضيها ، خاسرة ، وإن كانت هى صاحبة الحق ، فبدأ بتكوين فرق صغيرة قوية أخذ يعممها تدريجيا فى أنحاء البلاد .

واصطدم رضا خان مع سيد ضياء الدين فى مسألة الاستعانة بضباط انجليز فى تنظيم الجيش ، وكان الأخير من أنصار هذا الرأى والعاملين على ترويج هذه الفكرة ، كما تبين بعد ذلك اتصاله بالانجليز . كان سيد ضياء الدين يرى أنه لن يتم تنظيم الجيش على الوجه الأكمل دون الاستعانة بضباط الانجليز ، فى حين كان رضا خان يرى عدم السماح لأى هيئة أجنبية مطلقا بالتدخل فى شئون الجيش أو الوقوف على صغيرة فيه ، فلم يكن رضا خان لينس مافعله الضباط الانجليز بالفرق الايرانية التى

سبق تكوينها تحت إمرتهم .

واكتشف رضا خان اتصال سيد ضياء الدين بالانجليز وسقطت وزارة سيد ضياء الدين بعد ثلاثة أشهر وهرب إلى أوربا . هذا وان ذهب ضياء الدين يدفع عن نفسه تهمة الاتصال بالانجليز والتواطىء معهم ، بأنه كان أول من نادى برفض اتفاقية سنة ١٩١٩ .

واستدعى الشاه ، قوام السلطنة ، أحد السياسيين المعتقلين من معتقلة ، وعهد إليه بتأليف الوزارة الجديدة . أيُعاد إذا ذلك العهد الذى تخلصت البلاد منه ، وتذهب التضحيات التى بذلت فى سبيله سدى ؟؟! . على أن رضا خان ، وكان قابضا على الزمام بيده الحديدية ، واصل سيره فى نسج خيوط الشبكة العسكرية وتكوين الجيش الايرانى ، ذلك الجيش الذى كتب له النصر أولا وأخيراً وفى كل مكان .

رضا خان يقضى على الفتن فى أنحاء البلاد .

جلا الانجليز عن مراكزهم فى جنوبى البلاد ولكنهم لم يغادروا مراكز الزيت التى يملكون امتيازاتها هناك . وأخذوا فى تقوية نفوذهم من جديد بين القبائل هناك يمدونها بالسلاح ويبذلون لها المال . وانسحبت فرق الحمر من الشمال ولكنها لبثت عند الحدود ترقب الحال ، إذ لم تكن لتأمن جانب الانجليز وهى تعرف ما جُبلوا عليه من المفاجئات والمقالب الاستعمارية التى اشتهروا بها .

ذهب الحمر يمنون أنفسهم بإثارة عامة الشعب فى البلاد على آل قاجار ، وانكشفت تلك الأمانى فى حديث لتروتسكى ، أحد كبار زعماء البلاشفة إذ ذاك ، مع صحافى تركى فى المؤتمر الذى عقد فى باكو خاصا بالشعوب الشرقية ، إذ أفضى إليه فى فى حديثه بأن روسيا الحمراء كانت ، تبغى من وراء مساعدتها للغازى كمال أتاتورك ولإيران ، وصول طبقة عامة الشعب إلى

الحكم كما فى روسيا . وأخذ الحمر يعملون على تحقيق أمانيهم هذه باثارة القبائل التى تقطن شمالى إيران ، ولكن كلا الطرفين ، من الانجليز والبلاشفة ، اخطأ تقديره وخانه حسابه إذ تمكن رضا خان فى بحر الأربعة السنوات من عام ١٩٢١ إلى ١٩٢٥ ، مستعينا بجيشه الفتى الصغير من القضاء على كل فتنة وإطفاء كل ثورة ، حتى دانت البلاد بأجمعها من بحر قزوين إلى الخليج الفارسى لحكومة طهران .

ثورة جيلان : حاول الأمير مؤيد وأولاده فى موقع سواد كوه ، الواقع شمال إيران عند منطقة بحر قزوين أن يستقل بمقاطعته ، فثار فى وجه حكومة طهران وأعلن عصيانه لأوامرها . وتزعم الثورة ، فى منطقة فيروز كوه ، احسان الله خان وسعيد الدولة وهاجما مركز تنكابون واحتلاه . ووصلت أخبار الثورة إلى رضا خان ، وزير الحربية وأمير الجيش ، فبادر بارسال قوة مجهزة بأحدث الأسلحة على رأسها أمير بنج ، أحمد أقا خان ، وبصحبتها كتيبة من فرقة بهلوى على رأسها الضابط صادق خان

لملاقاة الثوار . وطلبت جنود الحكومة من الثوار التسليم فلما لم يرضخوا فاجأتهم بهجوم عنيف عند مكان يقال له سرخ دوبات وكسرتهم ، فتشتتوا على أثر ذلك وسارع الأمير مؤيد يعلن طاعته لحكومة طهران تلغرافيا ، فأمنه رضا خان وصرح له بالعودة إلى سواد كوه . وسار فى نفس الوقت سرهنك محمد خان شاه بختى على رأس خمسة طوابير من فرقة بولادين إلى قزوين ، وأمكنه أن يفسد على ثوار سالمبار بعض خططهم . وأخذت جنود احسان الله التى كانت تجمعت مرة أخرى عند سهرتنك فى الاستعداد لمهاجمة فرقة حكومة إيران ، وأنزلت بها فعلا خسائر جسيمة غير أن النصر كتب أخيراً لجنود طهران ، واضطر الثوار إلى الانسحاب . وجاءت الأخبار بأن بين الثوار كثيراً من الجنود والضباط الروس غير أنه كان من الصعب فى ذلك الوقت التمييز بين الروس البيض والروس الحمر .

وتراجع الثوار إلى موقفين يقال لهما علت ودلير حيث تقابلوا مع الفرق التى كانت تحت أمرة محمود خان شاه بختى . وأكرهت

الجنود الثوار إلى موالاة التقهقر بعد مقاومة عنيفة منهم . وأخذت قوات سرهنك فضل الله خان وقوات سرهنك محمود خان شاه بختى تقترب من بعضهـا وتحصر الثوار بينها . وأرغم الثوار ، مندفعين بيأسهم ، سكان خوريم أباد وشهسوار على تجنيد سبعمائة رجل منهم ، واندفعوا تحت إمرة ضباطهم الروس وعبروا نهر جالوس لملاقاة قوات الحـكومة وعرقلة انضمامها إلى بعضها ، ولـكن جاء ذلك متأخرا ، إذ كانت قوات الحـكومة قد احتلت خوريم أباد ودودسر فلم يجد العصاة بدا من التسليم ، وسلم معهم الضباط الروس ، وأرسل جميع ما كان مع العصاة من الذخيرة والأسلحة غنيمة طيبة إلى مخازن أسلحة الجيش بطهران .

وركزت فرق الحـكومة قواتها فى لنـكرود ، واتسع نطاق الثورة من جديد فاتسـعت معها نطاق العمليات الحربية ، وسارع رضا خان بنفسه إلى ميدان القتال وقاد القوات إلى مدينة رشت ، التى كان يحتلها الثائر كيتشيك خان . والتحم الفريقان ، فأظهر جنود القوزاق الشجعان من تلاميذ مدرسة رضا خان الحديثة من

ضروب الاستبسال والإقدام ما كتب النصر والغلبة لها ، فسقطت مدينة رشت فى أيديهم ، بعد صراع دموى عنيف ، وفر الثائر كيتشيك خان ، بعد أن تخلت عنه عصاباته ، إلى جبال تالش ، فلم تدركه جنود الحكومة إلا جثة هامدة إذ كان سكان تلك الجبال قد بادروا إلى بتر رأسه .

وحدث فى العام التالى أى عام ١٩٢٢ ، أن هرب أحد زعماء فتنة جيلان ، سيد جلال جمنى ، من معتقله فى طهران وقصد إلى جيلان حيث أخذ يدعو إلى الثوره واشعال نيران الفتنة من جديد . على أن حركته لم يتسع نطاقها إذ قبض على أخيه وتشتت اتباعه قبل أن يمتد لهب الفتنة ، ولقى حتفه هو الآخر فى جبال تالش . وقطعت الحكومة هذه المرة دابر الثورة والثوار فى تلك المنطقة نهائيا .

أراد سكان مقاطعة جيلان أن يظهروا لرضا خان اعترافهم بجميله فى تحرير مقاطعتهم ، فقرروا إقامة تمثال له بأرضهم ، وانهالت التبرعات من كل جانب لهذا الغرض . وحدث بعد عامين من

هذا الحادث أن نزلت عواصف شديدة بتلك المقاطعة تسببت عنها خسائر فادحة ، فبادر رضا خان ، بما عرف عنه من الرحمة وحبه الخالص للانسانية ، بالتنازل عما جمع من المال لاقامة تمثال له ، إلى أهالى البلاد تعويضا لهم عما لحق بهم من الأضرار . ولكن عرفانهم بجميله واقرارهم بحسن صنيعه دفعهم إلى التشبث بإقامة التمثال ، ولاغرو فقد أنقذ بلادهم وقضى على الفتن والقلاقل بشمال إيران جميعه ووطد أركان الأمن والطمأنينه فيه وقضى على البلشفية ودعاياتها وحبائلها هناك قضاء تاما ، وهكذا كان فى التمثال تذكارا لعمل خالد جليل وصفحة وطنية رائعة باقية .

اضطرابات ازربيجان : أعلن الثائر اقا سميتكو استقلاله بولاية ازربيجان الشمالية الغربية ، ولم يكن رضا خان قد قبض على زمام السلطة فى البلاد . وراح ذلك الثائر يهدد بعصاباته حكومة طهران ويعلن الحرب عليها . وأخذ هو ورجاله ينشرون الرعب والفزع فى أنحاء ازربيجان ، إذ كان على مايظهر يأمل بمساعدة موسكو فى إقامة جمهورية بلشفية فى البلاد . ولكن

حكومة موسكو ، وهى تعرف مجريات الأحوال بايران ، لم تقدم على الاشتراك فى هـذه المغامرة اوالمساهمة فيها .

وما أن انتهى رضا خان من إطفاء فتن ولاية جيلان و إقرار الأمور فيها حتى بادر بالسير إلى اقليم أزربيجان .

خروج الجيش الناشىء ، بعد تجربة جيلان التى صقلته بروح معنوية قوية ونشاط باد وعزيمة وثابة ، صوب التجربة الثانية . وأفلحت عصابات الثوار بادىء الأمر ، فى ضرب الفرق الحكومية وإرغامها على التقهقر ، إذ احتلت مدينة تبريز وزجت جميع موظفى الحكومة بها فى السجن . لكن الجنود القوزاقية لم تلبث أن تجمعت فى نقطة ساودشبولاق وسارت لاسترداد تبريز . أسرع الجنرال حبيب الله خان إلى المدينة وطاب من العصاة التسليم ، بدون قيد ولا شرط ، فرفضوا أمره بادىء بدء فأصلاهم نارا حامية حتى اضطروا بعد مرور اثنتى عشرة ساعة إلى التسليم . وواصلت جنود الحكومة أعمال التطهير حتى اضطرت زعيم الثوار سميتكو ، الذى أتى لنجدة عصاباته ، إلى التسليم والخضوع . وما شاع خبر

القضاء على الثورة فى ازربيجان حتى قامت إيران ، من أقصاها إلى أدناها ، تحتفل بهذا النصر كما أرسل رئيس مجلس النواب يهنىء رضا خان على توفيقه . وعاد الجنرال أمان الله خان بعد انتهاء المعارك إلى العاصمة ، وعين رضا خان الجنرال عبد الله خان قائداً للقوات فى المنطقة الشمالية وأسند إليه بصفة خاصة إقرار الأمن والمحافظة عليه فى أقليم أزربيجان .

أعلنت قبائل فولادلو وشالشالى ، عند قُم أباد ، الثورة فى بداية ١٩٢٣ وكان يتزعمها الثائران أشاير ورشيد الممالك ، فكسرهم جنود الحكومة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٣ واحتلت حصن ألار وألجأتهم إلى الهرب ، ولكنهم عاودا الكرة فى أول مايو التالى ، فلحقتهم جنود الحكومة عند دار بند وحمى وطيس القتال بينهم ، وخسرت الحكومة عددا من جنودها ، ولكن المعركة انتهت بقتل مائتى رجل من الثوار وأسر مائتين وغرق مائتين منهم أثناء محاولتهم عبور نهر كيزيل أوزون فى طلب الهرب . وتقدم رؤساء تلك القبائل ، التى لم تعرف الطاعة يوما ما ، إلى عاصمة ولاية

أزربيجان وسلموا أسلحتهم وقدموا سيفا تاريخيا ثمينا ، ليهدى إلى رضا خان ، إعلانا لخضوعهم .

وشبت ثورة جديدة فى نفس الوقت بشبه جزيرة تانك كاظم بزعامة كاظم كوشتشى . وتقع شبه الجزيرة هذه على شاطىء بحيرة أرميا الغربى ، ويقوم بها جبل ارتفاعه حوالى ثلاثمائة متر يحوطه الماء من جهات ثلاث . وأحاط الثائر كاظم حصنه بالأسلاك الشائكة وبث الألغام بمدخله ، كما اشترى قاذفا للهب ومدفعين .

سارت إليه جنود الحكومة فى يناير سنة ١٩٢٤ ودكت حصنه دكا وغنمت مالديه من الذخائر والأسلحة ، وكانت مجموعة من صناديق من الذخيرة وثمانية قوارب وثلاثة أجهزة تلغرافية وثلاثة صناديق من الديناميت وعدد كبير من القنابل والقذائف اليدوية ، ثم المدفعين وقاذف اللهب التى كان قد اشتراها كاظم بنفسه . وأطلقت حكومة طهران من ذلك اليوم على ذلك الحصن اسم قلعة سلطان على . وسلطان هذا هو أحد الجنود الحكوميين ، أظهر بسالة نادرة عند مهاجمة هذا الحصن حتى استشهد فى ميدان القتال .

حار الناس فى معرفة كيفية وصول هذه الأسلحة الكثيرة إلى هذا الثائر وغيره ولكنهم لم يقفوا على كنه ذلك .

وقضى السردار رضا خان على الفتن فى أنحاء البلاد ورأت القوات الأجنبية فى موانىء جنوب إيران مدى النصر الذى أحرزه السردار رضا خان ، فأخذت تجلو عنها . وهكذا أخذت بندر عباس وبندر لنكى وبندر كشم و بندر جابهار وغيرها من موانىء الخليج الفارسى تتنفس الصعداء من هذا الكابوس الذى عانته سنين طويلة .

رأت حكومة طهران أنها وإن كانت قد قضت على الفتن والاضطرابات فى أنحاء البلاد فإن الخطر فى الشمال والجنوب مازال يترقب على الأبواب فى انتظار أى ضعف يبدو فى طهران أو أزمة تحل فيها و يكون نتيجتها إهمال شئون الجيش فتزكى نيران الثورات والفتن من جديد ، لذا أخذ من بيدهم مقاليد السلطة هناك يفكرون فى شكل للحكومة يضمن السير بالبرنامج الاصلاحى المنشود وتحقيقه وتجنب أى أزمة فى المستقبل .

بين الجمهورية والملكية .

استقرت الأمور فى كافة أنحاء إيران بفضل شخصية رضا خان العظيمة وحزمه وقوة شكيمته ، وعادت لحكومة طهران هيبتها وعظم نفوذها ، وعرفت البلاد فضل رضا خان ، وردد الشعب تمجيده والإشادة بأعماله فى كل مكان . ودفعت روح الحسد التى تغلبت على بعض النفوس ، شأن أعداء كل زعيم عظيم ، إلى حدوث مشادة بين رضا خان و بعض أعضاء المجلس النيابى ، فى إحدى الجلسات ، قدم على أثرها رضا خان استقالته من منصبه وغادر طهران . ولكن ضباطه لحقوا به فى رجاء عودته إلى منصبه ، كما قدم له المجلس النيابى الترضية الكافية . وتغيرت الوزارة أربع مرات فكان رضا خان فى كل مرة يختار وزيرا للحربية وسردارا للجيش ، وكان تمسك رئيس الوزارة به فى كل مرة أكثر من تمسك الشاة نفسه ، ولم يكن استبقاؤه فى وزارة الحربية ورئاسة الجيش إلا لما رأوه من تعلق الشعب والجيش

الشديد به . لم يلبث أن عاود الحسد والغيرة ، من تلك الشخصية الكبيرة ، القلوب . ولا غرابة فى هذا فذلك ما يحدث فى كل مكان وزمان ، فألف الشاه مع رئيس الوزارة جبهة وقفت نفسها لمعاكسة وزير الحربية ودكتاتوريته العسكرية .

اكتشف بوليس طهران فى اكتوبر سنة ١٩٢٤ مؤامرة لاغتيال رضا خان . وكانت الرأس المدبرة لذلك الاغتيال رئيس الوزارة السابق المدعو قوام السلطنة . وسارعت وزارة الحربية بالقبض عليه ، كما توصل رضا خان إلى معرفة العناصر التى تحاول عرقلة خط سيره وخطواته عن التقدم . وأرغم رضا خان الشاه فى ٢٨ اكتوبر على أن يعهد إليه بتأليف الوزارة محتفظا فيها لنفسه بمركزى وزير الحربية وسردار الجيش . واكتفى رضا خان بأن طلب إلى قوام السلطنة أن يغادر البلاد فورا ، بدلا من محاكمته ، فشد رحاله فى الحال إلى أوروبا . وما لبث الشاه أحمد القاجارى أن غادر البلاد إلى أوروبا أيضا .

أجرى رضا خان الانتخابات فى الأربعة الأشهر الأولى من

وزارته ، ولم تستغرق عملية الانتخاب أكثر من خمسة أيام .
ودهش الناس لهذه السرعة التى جرت بها إذ كانت فى السابق
من أصعب المسائل وأعقد المشاكل الداخلية . ثم ذهب رضا
خان بعد ذلك يعالج مسألة امتيازات الزيت فى الشمال لأول مرة ،
كما نبتت فى رأسه فكرة إنشاء خط حديدى يقطع بلاد إيران
من الخليج الفارسى إلى بحر قزوين . وسلم الشعب مقاليده
وقيادته للرجل القوى القابض على أزمة السلطة والحكم الذى أخذ
على عاتقه مسؤولية السياسة الخارجية .

هكذا تطور الموقف ، فإذا بالشاه يغادر البلاد دون أن يُحَدّد
مدة إقامته فى الخارج بعيدا عن مملكته ، وإذا بالوزارة تتولاها
الشخصية القوية الوحيدة التى ينحنى الجميع أمامها فى إجلال
واحترام أكثر من احترامهم لحاكم البلاد القائم اذ ذاك . ثم قرب
افتتاح الدورة الخامسة للمجلس النيابى ، وقامت الصحافة فى طهران ،
قبل موعد انعقاد المجلس النيابى الجديد بشهر ، بحملة واسعة النطاق
تدعو إلى تغيير نظام الحكم فى إيران وإعلان الجمهورية ، متشبهة
فى ذلك بما حدث فى تركيا الحديثة ، ومقترحة أن تكون

رئاستها لرضا خان، غازى إيران ونظير كمال أتاتورك بها،
وامتدت الدعوة إلى الأقاليم والمقاطعات، وانهال فيض غزير من
الرسائل البرقية إلى طهران مؤيدا لهذه الفكرة. ولم يشأ
رضاخان فى استمرار الدعاية لتلك الفكرة فأعلن فى إحدى خطبه
أن هناك أمورا أهم من النظر فى نظام الحكم وتغييره، وأن هذه
الأمور تستلزم انصراف جهود البلاد بأكملها لتحقيقها، ثم أعلن
برنامجه على أسس ثلاث : —

(١) إقرار الأمن والنظام واستتبابها فى أنحاء البلاد.

(٢) العمل على نشر التعليم والثقافة والتوسع السريع فى
ذلك حتى تستغنى البلاد عن الأساتذة الأجانب.

(٣) تنمية موارد البلاد الاقتصادية وترقية استثمار المناجم
والأراضى للقضاء بذلك على المصاعب الاقتصادية ولتثبيت مركز
البلاد الاقتصادى.

ولم يشر رضا خان فى برنامجه إلى نظام الحكم فى البلاد
أو يلمح بأى تبديل أو تغيير فيه. وفتح نشر رضا خان لبرنامجه

أمام الصحافة معينا لا ينضب ، إذ أخذت تواصل دعايتها الأولى وتتساءل عن إقامة الشاه فى أوروبا وإهماله لشئون بلاده وعدم اهتمامه بها ، وتقارن بين حالة الشاه وبين رئيس الوزارة الذى وقف جهوده وحياته على خدمة بلاده وتفانيه فى حبه لها .

كان الموقف فى تركيا على نقيضه فى إيران ، فقد أصدر المجلس الوطنى الكبير فى اجتماعه بأنقره فى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ قراراً أعلن فيه إلغاء الخلافة ، ودنيوية الدولة ، والقضاء على نفوذ المشايخ ورجال الدين . ولقد ألم أئمة الشيعة ورجال الدين فى إيران بتلك التصرفات وأحيطوا بها علما ، لذا كان قيام الجمهورية فى إيران على نمط الجمهورية التركية بعيد التحقيق ، إن لم يكن مستحيلة ، إذ أن تقاليد الشيعة هناك ترتبط ارتباطاً وثيقا بتاريخ إيران القديم والحديث مما يؤدى التفكير فى إلغائها أو سلب السلطة من مشايخها إلى ثورة لا تأتى إلى نهاية .

حدد يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ (يوم النوروز) لاجتماع مجلس النواب للنظر فى مسألة نظام الحكم والبت النهائى فيه ، فإما

إلى النظام الجمهورى أو النظام الملكى . والتئم عقد المجلس لأول جلساته قبل النوروز فى ١٥ مارس . وتقدم ، بعد مرور يومين على هذه الجلسة ، أربعون من الوزراء السابقين والنواب بعريضة طلبوا فيها من رضا خان إعلان الجمهورية و إعداد الإجراءات اللازمة لانتخاب رئيس الجمهورية . وتوالت الرسائل البرقية من الجاليات الإيرانية المقيمة فى الهند ومصر مؤيدة لفكرة الجمهورية و إعلانها . وتظاهر معظم أعضاء الأسرة الشاهانية بالدعاية للجمهورية ، أما أئمة الشيعة فى مشهد فقد انفض مؤتمرهم بمزار شيرين عن انقسامهم إلى قسمين ، فمنهم من أعلن تأييده للجمهورية ومنهم من نادى بمناوئتها .

انجابت الحركة الجمهورية عن معسكرين ، المعسكر الأول ويتزعمه حزب التجدد ، وقوام ذلك الحزب النواب واتباعهم واتحاد الشباب المتدين . وكانت هذه الفئة ترى بأن للبرلمان حق تغيير مواد الدستور بما يخول له إسقاط العائلة المالكة و إعلان الجمهورية . أما المعسكر الثانى فكان يتزعمه عدو انجلترا اللدود ، المجتهد الخالزى

وكان ينادى هو وأتباعه بفكرة إعلان « جمهورية الشعب الحقيقية » ولا يقرون لابرلمان القائم بأحقية تغيير مواد الدستور ، إذ يعتقدون ببطلان الانتخاب الذى استغرق مدة خمسة أيام فقط ، ويتهمون الحكومة باستعمال نفوذها وضغطها فيه . لذا كانوا يصرون على استفتاء الشعب نفسه وعقد جمعية وطنية قانونية صحيحة تعلن « جمهورية شعبية حقيقية » . وأخذ المعسكر الأول يستعد لضربته الأخيرة والقيام بتحقيق وجهة نظره فى يوم النوروز « رأس السنة الإيرانية » ، فى حين أخذ الخالزى ، فى نفس الوقت هو وأتباعه ، يحمس الشعب لفكرته ويثيرهم لأجل تحقيقها . وكان بين رجال الدين كثيرون من أعداء الانجليز وفى هذا الكفاية .

أخذ الخالزى يظهر مودته نحو روسيا السوفيتية ، كما طفق أتباعه يروجون لدعايتهم قائلين بأن رضا خان إنما يرمى من وراء الجمهورية إلى إعلان دكتاتورية الجيش الايرانى وتحكمها فى البلاد إلى الأبد ، وفيما عدا ذلك فسيكون آلة فى يد السياسة الانجليزية . وزادوا على ذلك باتهامهم أعضاء حزب التجدد

بأن اليد الانجليزية تحركهم من وراء ستار .

لم يخفَ الأمر على رضا خان بأن السياسة السوفيتية هى التى تدبر دعايات الخالزى وتحركها ، وخاف أن تؤدى الحركة الجمهورية إلى اضطرابات داخلية . وهل الأسبوع الأخير السابق للنوروز فاذا بطهران تجتاحها عاصفة حمراء سوفيتية ، وإذا بالصحافة تشتط فى حملتها على الأسرة الحاكمة ، حتى أخذت إحدى الصحف توالى الاصدار مطبوعة على ورق أحمر اللون ، وإذا بوفود النواب تتوالى وتتقاطر على رئاسة الوزراء فى غير انقطاع مطالبة بتغيير الدستور وتعديله . ولم يلبث أن أُبعد نساء الشاه من طهران واعتقل ولى العهد فى قصره . وملأتْ الرايات الحمراء الشوارع ، كما علق كثير من الجنود والموظفين الشارات الحمراء على أذرعهم .

وحدث فى البرلمان عراك عنيف على أثر إعلان أحد النواب أن المجلس قد فقد حريته وأصبح خاضعا للنفوذ العسكرى . وتطور هذا العراك إلى أن انتهى بتبادل الطلقات النارية . وامتد هذا التطور إلى الجموع المنتظرة خارج البرلمان . ولم يمض

على هذا الحادث مدة طويلة حتى اغتيل أحد النواب أمام ساحة المجلس لإعلان عدائه لفكرة الجمهورية . وأظهر رجال البوليس والجيش همة عظيمة فى منع امتداد الشغب والاضطرابات .

دعى المجلس النيابى إلى الاجتماع فى ١٨ مارس وكانت وسيلة الدعوة إلقاء نشرات الدعوة من الطيارات . ولم يتمكن حزب التجدد الذى كان يدعو إلى الجمهورية أن يحوز أغلبية . وتقدم مندوبون إلى رضا خان بطلب عرضوا فيه بأن الحل الوحيد لمشكلة السياسة الداخلية هو دعوة جمعية عمومية شعبية لها حق إصدار القوانين للبت فى مسألة الجمهورية .

وعقد الخالزى اجتماعا كبيرا فى ٢٠ مارس وطالب فيه الحكومة بتنفيذ الالتزامات الأربعة الآتية : —

(١) ضمان الحرية الشخصية وعدم الاعتداء على الأرواح .

(٢) الإفراج عن جميع المعتلقين من أنصاره بسبب ندائهم بجمهورية شعبيه .

(٣) القضاء على مظهر الصداقة لانجلترا فى البرلمان .

(٤) دعوة جمعية عمومية تشريعية للانعقاد .

شروط ينطق كل واحد منها بإيعاز الكومنترن السوفييتى .

وبادر حزب التجدد بعقد اجتماع مناهض لاجتماع الحزب السالف الذكر ، وتقدم إلى البرلمان بمشروع يرمى إلى خلع الأسرة المالكة وإعلان الجمهورية . وعهد ببحث هذا الاقتراح إلى لجنة ، مفوضة مطلقة التصرف ، قوامها اثناعشر عضوا . وأصدرت اللجنة قرارها ، بأغلبية تسعة أصوات ضد ثلاثة ، بأن البرلمان القائم لايصلح لإجراء تغيير أو تبديل فى الدستور .

وفى حين كانت الأمور تسير على هذا النمط السابق ، كانت حركة أعداء الجمهورية ، التى كان يغذيها النفوذ الشيعى فى البلاد ، تشتد يوما بعد يوم . واستغلوا سخط تجار طهران بسبب خسائرهم الناتجة عن اضطرارهم لإغلاق محالهم لحوادث الاضطرابات . اذ أمل هؤلاء التجار أن تنتعش الحركة بسبب إقبال عيد النوروز وحلول رأس السنة الإيرانية ، ولكن معاودة الاضطرابات اضطرتهم إلى إعادة إغلاق متاجرهم مرة أخرى ، مما سبب لهم

خسائر جسيمة . وأقبل رجال الدين (مُلاّ) يدخلون فى كل محل لبيع الصحف ويمزقون الصحف التى تدعو إلى الجمهورية ، فكسبوا بعملهم هذا عطف أصحاب المتاجر العديدين ، وأفلحوا فى ضمهم إلى صفوفهم . وراجت فى أنحاء طهران إشاعة جديدة ، بأن بين جنود رضا خان كثيرون لايوافقون رأيه ، وأن الجيش سيعلن معارضته هذه فى القريب . ثم جاء عيد رأس السنة ومضى دون الاحتفال والعرض العسكرى المعتاد . وعاد السوفييت يستطلعون اتجاه الريح فلما رأوا أن حركة الخالزى لم تلق إلا تعضيدا قليلا ، انقلبوا يسعون إلى تشجيع حركة أعداء الجمهورية ، مستغلين روح التعصب الدينى فى البلاد ومزكين له ، ورأى موسكو فى ذلك أن فى انتصار أساليب القرون الوسطى ضمانا لحدوث الاضطرابات فى المستقبل . على أن حركة الجمهورية عادت تشتد من جديد وتسيطر على الموقف .

وانعقد البرلمان فى ٢١ مارس ، وقد استعد الحزبان القائمان لهذا الاجتماع ، فقام خطباء هنا يدعون إلى الجمهورية ووقف

خطباء هناك يحملون عليها ، واشتد النضال بين الحزبين واشتط بين جدران المجلس وقذفوا البوليس بالحجارة . ودخل رضا خان المجلس شاهرا سيفه ، فحياه بعض القوم منادين بحياة الشاه ، فى حين نادى الآخرون بسقوط الشاه . واثار رجال الدين (مُلاّ) حماسة الناس فى الخارج ، وزاد اتباعهم حتى تمكنوا من التغلب على الحرس والدخول إلى قاعة اجتماع المجلس ، وكان خطيب من خطباء الدعوة إلى الجمهورية قد صعد المنبر فى تلك اللحظة . فطلب رئيس المجلس من رضا خان العمل على إخلاء المجلس من الذين دخلوه عنوة ، فسارع رضا خان باصدار أوامره وأفلح فى إعادة النظام والسكينة . ورفعت الجلسة على أن يعود المجلس إلى الانعقاد فى ٢٦ مارس .

أصبحت المدينة وحوانيتها مغلقة احتجاجا على الحركة الجمهورية ، كما ذهبت جموع كثيرة من الشعب إلى قصر ولى العهد محمد حسن ميرزا هاتفة بسقوط الجمهورية وحياة الملكية . ولم يحرك ولى العهد ساكنا إذ كان يعلم أنه حتى فى انتهاء الأمر إلى الملكية فانها لن تكون من نصيبه .

وغادر رضا خان طهران قاصـدا إلى مدينة قم ، حصن الشيعة منذ القدم ومركز تعاليمها ، حيث اجتمع بأئمة الشيعة وتحدث معهم فى الموقف السياسى وحالة البلاد ، ثم قفل راجعا إلى طهران وأصدر النداء التالى : « أيها المواطنون ، لقد علمتنا التجارب أن زعماء البلاد يجب عليهم أن لايقفوا موقف المعارضة من الرأى العام ، لذا فإن نظام الحـكم القائم ، الذى يحرص على شعور الشعب ، قد رفض استعمال أى شدة أو القيام بأى ضغط عليه . ويسرنى فى الوقت نفسه أن أعلن أنى قـد وضعت نصب عينى من أول وهلة إعلاء كلمة الاسلام واستقلال إيران والمحافظة على حقوق الشعب وحمايتها . ولم أزل حتى اليوم أدرج على تلك الخطة وأعمل بها ، فاعتبرت كل معاد لتلك الخطة وهذه المبادىء عدوا للوطن وأعلنت عليه حربا لا هوادة فيها . على أنى أرى الرأى العام قد اختل توازنه الآن وأن الشعب قـد تسربت الحيرة إلى نفوس أفراده وتطور الموقف إلى معارضة ما أسير فيه من إقرار الأمن واستتبابه فى البلاد ونشر السلام وتدعيم أسس الدولة . ولقد

أخـذنا على عاتقنا ، أنا وجميع الضباط وجنود الجيش ، كأول واجب ، إعلاء كلمة الاسلام وحمايته والمحافظة على مركزه السامى فى العالمين ، كما ذهبت إلى زيارة مقام الامام على الرضا ، بناء على دعوة حجج الاسلام والعلماء ، وتباحثت مع أئمة الدين فى الحالة والموقف .

وإنى لأرى من واجبى الآن أن أنصح إلى الرأى العام بالعدول عن المناقشات والجدال والأخـذ والرد فى مسألة الجمهورية ، كما أطلب من الأمة جميعها أن تتضافر وتوحد كافة جهودها وتوجهها إلى العمل فى بناء استقلال البـلاد وتقدمها ، وأن تقف بجانبى للسير فى طريق تقوية أسس العقيدة والاستقلال فى أنحاء البلاد .

لذا فأنا أدعو جميع أنصار هذه المبادىء المقدسة أن يطرحوا فـكرة الجمهورية جانبا » .

لم يجد رضا خان أن نداءه قد أتى بالتأثير المطلوب ، فعمد إلى آخر سلاح أدبى فى جعبته إذ اعتزم الاستقالة من مناصبه

والاعتكاف مختارا فى مكان ما . فقدم استقالته إلى البرلمان وأخطر قادة الجيش بما انتهى إليه فى المنشور التالى :

« لقد توصلت بمعونتكم أيها الضباط الشجعان إلى إجلاء القوات الأجنبية عن البلاد والقضاء على الفتن والاضطرابات فى فى داخلية البلاد وإنى لأرانى ازاء ما يقوم به بعض المحرضين مضطرا إلى الاستقالة من مناصبى والتنازل عنها . وسيقوم فى غيابى رئيس هيئة أركان الحرب فى الإشراف على النظام ومراقبة الأحوال ومباشرة إصدار الأوامر . ولم أسعى إلى دعوة قواد فرق الجيش إلىّ ، إذ يجب أن يقوموا بالمحافظة على الأمن والنظام فى الأقاليم والمقاطعات . وسيقوم الجنرال أمير اقتدار بمهمة ضابط الاتصال بين الجيش والبرلمان فى غيابى . وانى أضع الجيش أمانة بين يدى الله القدير و بين أيديكم » .

غادر رضا خان طهران فى ٩ ابريل قاصدا موقع رودهين . وارتاعت البلاد لدى علمها باستقالته، وعبأ بعض من القواد فرقهم استعدادا للزحف على طهران واحتلالها في حالة إذا لم ترفض

الاستقالة ويعود رضا خان إلى منصبه . كما انهال فى الوقت نفسه من الأقاليم سيل من الرسائل البرقية تطالب بعودة رضا خان إلى منصبه . وتقدمت عريضة موقعة من ستين نائبا إلى رضا خان يدعونه فيها ، باسم مصلحة البلاد إلى الرجوع لمنصبه وتجنب حدوث كارثة فى البلاد ، وقبل رضا خان بعد إلحاح شديد العودة إلى منصبه ، وطرح المجلس الثقة به فخرج بأغلبية ثلاث وتسعين صوتا ضد سبعة ، فأولاه البرلمان ثقته التى لا حد لها . وهكذا قضى على فكرة الجمهورية وانتهى حديثها .

عاد رضا خان إلى تسلم مقاليد السلطة من جديد فى أشد ظروف البلاد حاجة إليه . إذ تمكن أحد الثائرين المعتقلين ، وهو سردار رشيد ، من الفرار أثناء هذه الاضطرابات الأخيرة وعاد إلى إعلان الثورة من جديد فى اقليم لورستان ، تلك الثورة التى فاضت فيها الدماء أنهارا وأودت بحياة كثير من جند إيران ، إذ أفلح الثوار فى قطع الاتصال بين مركزى الفرق الحكومية فى خوريم أباد وبوروشيرد ، ثم حاصروا حامية خوريم

أباد التى كانت تحت إمرة سرتيب محمد خان شاه بختى .

استعملت الجنود الايرانية فى هذه الموقعة، لأول مرة، معدات الحرب الحديثة ، إذ كانت وزارة الحربية قد استحضرت من ألمانيا والروسيا وفرنسا مقادير وفيرة منها ، فاستخدمت القوات فى حربها مع الثوار الدبابات والطيارات ، كما جُهز جزء من الجيش بالسيارات المدرّعة . وتمكنت فرقتا مِرْك وبهادور من دك قشلاق خوريم أباد . وأخذ الثوار بعد ذلك يستميتون فى المقاومة ولكن الطائرة « شاهين » اكتشفت مواقعهم وأصلتهم نارا حامية ، كما قامت الطائرة الحربيـة « سيمُرغ » بقيادة الطيار محمـد حسين مرزا بالقاء قنابلها عليهم . وأسقط فى يد الثوار إزاء آلات الدمار الحديثة هذه وقتل عدد كبير منهم كما فر أغلب الأحياء إلى جارمسير . وقام رضا خان نفسه بالتفتيش فى ولاية لورستان حيث استعرض جنوده الظافرة، واستقبله الشعب استقبالا رائعا جليلا .

ذلك إلى أن أعداء رضا خان لم يركنوا إلى السلم بعـد

وأخذوا يحيكون دسائسهم بين الجنود ، فرأى رضا خان حسما لكل ذلك ، وفى سبيل القضاء على تلك الدسائس قضاءا نهائيا ، أن يزيد فى التفات الحكومة إلى أمور الجيش وأن تَقْبض بيد أقوى على زمام الأمور فيه وأن يعاد تنظيمه ويوجه كل اهتمام إلى ذلك .

الجيش الايرانى الحديث

انعقد مجلس الجيش الإيرانى الحديث لأول مرة فى شهر إبريل قبل بداية حركة الجمهورية وكان مكونا من قواد الفرق وجنرالية الجيش ، وكانت رئاسته لرضا خان الرئيس الأعلى لمستشارى الجيش .

لم يذع المجلس شيئا من قراراته وبقيت جميعها سرية ، على أن المعروف أن من بين ما اتفق عليه ، جعل الجيش فى معزل من التدخل فى سياسة البلاد الداخلية ، والقضاء بشدة على كل حركة أو دسيسة ترمى إلى ذلك . وتقدم رئيس هيئة أركان حرب الجيش سرتيب أمان الله مرزا بتقريره عن شرائه الأسلحة من فرنسا .

ومُنح رضاخان فى ٧ مايو أعلا قلادة حربية المسماه (ذو الفقار) باسم الجيش ، واستعرضت حامية طهران فى ٨ مايو تكريما له . وعقد مجلس الجيش الأعلى فى سراى رئاسة الوزارة

اجتماعا سريا ثانيا فى ٩ مايو ، وألقى فى هـذا الاجتماع رئيس أركان حرب الجيش خطبة أشاد فيها بذكر رضا خان باعث الجيش ومنشؤه الذى يعزى إليه الفضل فى ائتلافه وتوحيده .

لقد كانت حالة الجيش الأولى ، وما كان عليه من التفكك ، صورة حقيقية لما كانت عليه الأمة من الانحلال وتمزق وحدتها ، فقد كانت الفرق القوزاقية الإيرانية قبل الانقلاب الوطنى المعروف الذى حدث فى فبراير سنة ١٩٢١ ، تواجه الانجليز وتواجه معهم الفناء ، فى حين كانت قيادتها فى أيدى ضـباط الروس . كما كان الانجليز يرمون من وراء كل مساعدة يتقدمون بها لإيران ، إلى فائدتهم الخاصة الأمر الذى عانت منه البلاد كثيراً

لقد قام بتكوين فرق الجيش فى السابق الشاه القاجارى ، ولـكنه كان يستعملها أداة لخنق الروح الوطنية ، فاستعمل عليها لتحقيق هـذه الأغراض ضباطاً أجانب من الروس . وجاء رضا خان ، فأبعد الضباط الروس بل وكل ما هو أجنبى فى الجيش ووحداته ، ولم يأل جهداً فى إدخال الأنظمـة الحديثـة فى الجيش وتزويده

بآخر ما توصلت معامل التسليح إلى إخراجه . وكانت كل زيادة في العناية بتقوية الجيش تزيد من العداء للعائلة القاجارية التى كان الناس يتهمونها بأنها كانت تعمل لاضعاف إيران وهدم استقلالها . وأتيحت الفرصة لرضا خان لأن يعلن ان حكم آل قاجار كان حرباً على الروح المعنوية فى البلاد .

وركز رضا خان قوات الجندرمة وحاميات الوسط وفرق القوزاق والمتطوعة معاً وألف منها جيشاً مؤتلفاً فى زى واحد وبزة واحدة ، ثم سلح هذا الجيش بأحدث الأسلحة ونظمه على أحدث النظم الأوروبية ، كما أرسل من كبار ضباطه إلى أرووبا والروسيا لشراء مايلزم له من الأسلحة والمعدات .

وأصدر رضا خان أوامره إلى محافظى الأقاليم وعمد البلاد بحل ماتحت أيديهم من القوات الخاصة التى كانوا يستعينون بها على حفظ الأمن ، وعهد إلى رجال الجيش بالحلول محلها فى مثل هذه المهمات . كما عهد إلى فرق الصيادين فى الجيش بالعمل على شق الطرق العسكرية فى أنحاء البلاد ، ومنع أن يعهد إلى

غير العسكريين بنقل الأسلحة والمؤن والذخائر .

وبعث رضا خان فى ربيع سنة ١٩٢٣ بخمسين طالبا من خريجى المدرسة الحربية تحت إمرة سرتيب حبيب الله خان شيبانى إلى فرنسا لتكملة دراستهم فى مدارسها الحربية . وأقام لهم حفلة وداع قبل سفرهم حضرها ضباط الفرق وألقى فيهم الخطبة التالية :—

« إن اليوم الذى قد وقع عليكم الاختيار فيه ، لكى تسافروا إلى فرنسا ، ليعد يوما مشهودا فى حياة جيشنا . فأنتم تسافرون للدراسة فى بلد لها جيش يعد فى طليعة جيوش العالم من حيث القوة والنظام ، بلد ضربت للعالم خير المثل من حيث الشجاعة والتضحية التى لاحد لها والقيام بالواجب ، بما أظهرته فى الحرب العالمية . وإن ما يجب أن تجعلوه نصب أعينكم فى دراستكم هو بذل قصارى جهدكم بروح وطنية قوية ، فى الاستفادة الحربية استفادة لاحد لها تؤوبون للوطن حاملين إليه أحسن ثمراتها

ولا يجول بخاطركم أن إرسال خمسين طالبا أمرهيّن

على الدولة ، ولتذكروا أن الدولة منذ زمن ليس بالبعيد لم يكن بمقدورها أن ترصد بأبواب المدينة خمسين جنديا من الدهماء لوقايتها من شر بضعة لصوص .

إن الجيش الإيرانى الناشىء قد وفق فى مدة قصيرة فى القضاء على الاضطرابات والفتن والحركات الحمراء بفضل ماأظهرتموه من الشجاعة وروح التضحية والاخلاص فى القيام بالواجب وسيتم عن قريب وفى أسرع وقت تكوين القوة القومية العسكرية . وإنا لنناديكم لاتمام العمل الذى بدأنا به .

يا أبنائى الأعزاء

إنكم لتعلمون أن أرضنا ، التى تحوى منابع الثروة فى أنحائها ، تحتاج إلى السكك الحديدية والمصانع ، وأن دخل البلاد محدود بانتاجها وما تخرجه أرضها . وها هى الدولة تقتطع من هذا الدخل لتنفق عليكم ، ولم تعد الدولة تأتى بهذا المال عن طريق الاستدانة من الخارج كالسابق ، تلك القروض التى كانت تعضدها عصابة صغيرة من المتآمرين على البلاد ، إنما تأتى به من عرق الفلاح

ومجهوده . لذا فانه لزاما عليكم أن تذكروا أن كل درهم تنفقونه قد اكْتُسِبَ تحت أشعة الشمس المحرقة وأنه قد بلله عَرق خير أبناء الشعب وأطيب مافى عنصره . تلقاء ذلك عليكم ببذل غاية الجهـــد وكل مافى الطاقة فى دراستكم العسكرية ، فتعودوا إلى الوطن بأرقى مافى التسليح وتباشرون تحصينة وحمايته بأكبر قوة وأعظمها » .

وجاء تأسيس المدارس الحربية الخطوة الثانية فى السياسة الإنشائية للجيش ، وذلك لامـداده بضباط مثقفين ومدربين على أحدث النظم . ونال رضا خان من البرلمان الموافقة على قانون التجنيد الإجبارى فأتيح له الاطمئنان على قوام الجيش .

وتمكن رضا خان بواسطة جيشه الناشىء الصغير الجرىء ، فى مدى الثلاثة الأشهر الأخيرة من عام ١٩٢٤ ، من إخضاع ولاية خوزستان الجنوبية ، حيث توجد شركة الزيت الايرانية الانجليزية ، ورفع الراية الايرانية عاليـة على الخليج الفارسى الذى استردته إيران بعد ما حرمت منه قرنا بأكمله .

الشيخ خزعل

أو ثورة خوزستان

عنـد ما حاولت الفرق الألمانية التركية فى الحرب العظمى تحطيم أنابيب الزيت البريطانية الممتدة من هرمُس إلى عبدان ، وكانت تمد الأسطول البريطانى بالزيت عند الخليج الفارسى ، تقدم شيخ المحمَّرة ، الشيخ خُزعل ، بعرض خدماته على انجلترا واستعداده لحماية منطقة الزيت برجاله وأتباعه من القبائل العربية . ولقد أفلحت مساعداته هذه اخفاق الحملة التركية الألمانية وصدها عن تحقيق أغراضها ، فلم تكافؤه انجلترا بالمال الوفير فحسب بل وعدته الحكومة الانجليزية بمساعدته فى الاحتفاظ باستقلاله وانفصاله عن حكومة طهران . وجاء ضعف حكومات طهران مساعـداً له على التوسع ، فى حين كان أى مظهر للقوة يلوح فى طهران يلجؤه إلى الانـكماش . وأصبح يخضع لسلطانه المطلق منطقة كبيرة عن يسار شط العرب من المحمرة إلى الأحواص

كان يهم انجلترا كثيراً أن تطلق يدها فى تلك المنطقة فعقد شيخ المحمرة اتفاقين : الأول مع شركة الزيت الانجليزية الايرانية والثانى مع الحكومة الانجليزية نفسها ، دون أن يعرض الأمر على حكومة طهران أو يراجعها فى ذلك . ولم تكتف انجلترا عام ١٩٠٥ أن تتعهد له بتقديم كافة المساعدات اللازمة لدفاعه عن أراضيه فى حالة أى اعتداء عليه ، بل زادت على ذلك بتعهدها له بالقيام بما سبق فى حالة اعتداء حكومة طهران عليه أو سيرها إلى أملاكه . وعادت انجلترا فأكدت له ما سبق من تعهداتها له فى نوفمبر سنة ١٩١٤ عند إعلان الحرب العالمية لدى انضمامه إلى قواتها ومساعدته للحملة الانجليزية فى احتلال مدينة البصرة . فكان شيخ المحمرة الحاكم الحقيقى لشاطىء شط العرب الأيسر والجزء الصالح لمسير السفن من نهر قارون فى الأحواص حتى المحمرة . وعلى الرغم من أن شركة الزيت الانجليزية الأيرانية كانت قد نالت امتيازاتها من حكومة طهران نفسها ، فقد كان ضمان سير العمل فى منطقة الزيت وتأمينها يحتم على تلك الشركة

ترضية سكان منطقة الآبار وزعمائهم من عشائر البختيارية ، والقيام بنفس تلك المهمة مع صاحب المحمرة الشيخ خزعل الذى تمر فى أراضيه الأنابيب وتقوم فيها معامل التكرير الواقعة فى شبه جزيرة عبدان . و بلغ عدد عمال الشركة عام ١٩٢٣ حوالى العشرين ألف عامل إيرانى من عشائر البختيارية وعشائر الشيخ خزعل العربية .

وتوصل زعماء البختيارية الذين اتحدوا مع الشيخ خزعل ، إلى إدراك أن مسير قوات رضا خان العسكرية إليهم ، إنما يؤدى إلى نزاع بين طهران ولندن ، إذ أن منابع الزيت والمنشآت لا بد متعرضة إلى ما يسبب خسارة أصحاب الأسهم بل وخسارة الحكومة الانجليزية نفسها التى تمتلك جزءا كبيرا من الأسهم وتقوم فى الوقت نفسه بالإشراف على الشركة .

وأزعجت نهضة رضا خان ، الشيخ خزعل وأقلقت مضجعه ، وكان يعرف أن بريطانيا و إن كانت قد تعهدت له بحمايته فهى لا تزج بنفسها فى موقف يظهر فيه عداؤها على المكشوف ،

كما أن الحكومة المركزية فى طهران لن تتراجع أو تتردد فى الحصول على حقوقها المغتصبة .

وهب رضا خان فى أواخر عام ١٩٢٤ لاسترداد حقوقه بقوة السيف فلم يبدُ ما يجعل من المحتمل وقوف انجلترا فى وجهه أو دخولها فى مشاكل معه . وتراءى للشيخ خزعل نفس الرأى ، فراح يطلب إلى معتمديه فى لندن أن يسألوا حكومة لندن الجواب الحاسم فى تلك المشكلة وأمر مساعدتها له . ولكن حكومة التاج تركت الشيخ خزعل معلقا بين اليأس والرجاء ، فلم تشأ الحكومة البريطانية أن تأخذ على عاتقها علنا حماية الشيخ خزعل ضد حكومة إيران المتحدة بعد ما أصاب سياستها فى إيران ما أصابها من الفشل السابق . مضت انجلترا تراقب مجريات الأحوال ، وعند ما رأت أن رضا خان أخذ يمضى بجد وحزم فى هذا السبيل تخلت هى بدورها عن الشيخ خزعل . وطلبت حكومة طهران من الشيخ خزعل إعلان تسليمه ، ودفع ما سبق أن تحصل عليه من الضرائب وكررت طلبها عليه مراراً ، ولكن الشيخ

كان يجيب كل مرة باجابة ملتوية ، يقصد بذلك كسب الوقت الكافى لإثارة القبائل ضد الحكومة . وأفلح بالفعل فى إثارة البختيارية ، واستمالة زعيمهم أمير مجاهد ووالى بُشت كوه اليه . كما استعمل ذهب الانجليز فى إثارة العشائر والدعاية للوحدة العربية ، فى سبيل الوصول إلى تحقيق غايته . وأمل الشيخ إبان تلك الفترة أن تغير انجلترا سياستها نحوه ، ولكن أحداً فى انجلترا لم يحرك ساكنا . ولما استبان له جلية الموقف عمل على الاتصال بالعناصر العدائية فى طهران ، وأخذ يحيك معها شبكة من الدسائس والمكائد ، لم يطق رضا خان عليها صبرا .

أعلن رضا خان فى اكتوبر سنة ١٩٢٤ التعبئة العامة ، فتقاطرت جميع الفرق الإيرانية من جميع النواحى ، والتقت سويا ، وسارت صوب خوزستان ، أغنى مقاطعات إيران ، وبها منابع الزيت التى تستغلها انجلترا بحماية أسطولها هناك .

عقد رضا خان النية على استرداد هذه المقاطعة بأى ثمن كان . ويقع بتلك المقاطعة تماثيل وآثار عصر من أعظم العصور وأروعها فى

تاريخ إيران وهو عصر آل ساسان . كما كانت خوزستان أول مقاطعة غزاها المسلمون فى الفتح العربى . فهى بذلك ذات قيمة مادية ومعنوية عظيمة للبلاد ، مما يجعل لاستردادها رنة عظيمة فى الشعور القومى .

ووجه رضا خان النداء التالى إلى الجنود :

« لقد حذرت خزعل مرارا من نتيجة أعماله ولكنه أبى واستكبر ، لذا فانى آمر الجيش بأكمله أن يبذل غاية جهده فى القضاء على تلك العقبة الوحيدة التى تقف حجر عثرة فى سبيل نهضة الجيش ، فتدعم بذلك عظمة إيران وقوتها »

وسافر رضا خان إلى إصفهان ، كى يلحق بالجيش من هناك . واجتاحت الجيوش الإيرانية مقاطعة خوزستان بأربعة فرق ، ذهبت كل فرقة منها فى اتجاه خاص ، بنظامها الحديث ، فكانت هذه أكبر تعبئة شهدتها إيران الحديثة . ولم تنزل تلك الجنود الرعب بالثوار فحسب ، بل وأزالت كل شك فى لندن من ناحية تصميم رضا خان وصدق عزمه ، وأظهرت لهم جدية العمل الذى يقوم

به هذا الرجل فى اتحاد جميع المقاطعات ، و بناء الوحدة الإيرانية بما فيها تلك المقاطعة .

تقدمت الفرق فى طريقها ، وأخذت الطائرات تلقى بمنشورات كتبت بالعربية والايرانية ، تدعوا فيها العشائر إلى التخلى عن الشيخ خزعل وتقديم طاعتهم إلى الحكومة المركزية فى طهران . وأفلحت تلك الدعاية فى حمل بعض العشائر العربية على التسليم ، وكان من بينها قبيلتا بنى طراف وبنى حويزة التى أشعلت النار فى حصن الحميدية الذى كان يقوم فيه أحد أبناء الشيخ خزعل ، الشيخ عبد الحميد ، وكان محافظا لتلك المنطقة . وتلقى رضا خان ، وهو بشيراز ، رسالة برقية من الشيخ خزعل يعلن فيها خضوعه و يطلب العفو من رضا خان ، مدعيا أنه كان ، فيما ارتكبه من الدسائس واشترك فيه من المكائد ، ضحية المحرضين ، و يتعهد له بإخلاصه الدائم للدولة واستعداده التام للتعاون فى خضوع معه ، وأن ينفذ أوامره فى أنحاء المقاطعة . ثم التمس بعد قبول العفو والصفح عنه أن يتركه قائما على تلك المقاطعة وتصريف أوامر الحكومة فيها ،

مؤكدا فى الختام طاعته التامة . واتصل رضا خان برئيس أركان الحرب فى طهران وطلب منه إعلام الشعب برسالة الشيخ خزعل ، ثم أرسل برده إليه يعلمه فيه أنه يعفو عنه بشرط تسليمه وإعلانه لخضوعه فى الحال بلا قيد ولاشرط ، دون أن يجيبه على مطالبه الأخرى أو يذكر له فى رسالته شيئا عنها .

مضت أيام عديدة دون أن تصل أى أخبار جديدة من الشيخ خزعل ، فسارع رضا خان بالسفر إلى الميدان معتزما الزحف بجنوده إلى المحمرة ، وكانت القوات الحكومية إبان ذلك قد طوقت تلك المقاطعة . وطلب رضا خان من الشيخ خزعل أن يأتى فى الحال إلى مركز القيادة ويسلم نفسه طائعا مختارا ، فقبل الشيخ خزعل القيام بذلك عن طيب خاطر ، ولكنه اعتذر بأن صحته وشيخوخته لا تسمحان له بالإسراع فى السير ، وعرض أن يرسل إلى رضا خان أحد أولاده ، علامة على خضوعه وتسليمه ، على أن يحضر هو بنفسه عند ما تساعده صحته على ذلك . فقبل رضا خان ما عرضه عليه الشيخ خزعل ، وحضر

ابنه حيث أعلن خضوع والده أمام جنود رضا خان الظافرة .

أخذت جنود الحكومة تتوغل بعد ذلك فى مقاطعة خوزستان وتضع يدها على أراضيها ، فسارت أولا إلى رامهورمُسْ وناصرى . كما سارت فرق الشمال الغربى أثناء ذلك إلى بشت كوه ، حيث وضعت أيديها على منصور أباد وحصن الوالى ، وكان الوالى ممن يحرضون على الثورة مع الشيخ خزعل . وفر الوالى نفسه إلى الجزيرة . ودخل رضا خان مدينة ناصرى دخول الفاتحين ، ورحب به الأهلون أجمل ترحيب . نصب رضا خان سرتيب فضل الله خان شاهدى محافظا على مقاطعة خوزستان ، ثم استأنف سيره بجنوده فسار عبر المحمرة إلى مسجد ونفتون وعبدان ، حيث تقع أهم منابع الزيت فى إيران . وخرج الألوف من الناس لاستقباله ، وألقى مرافقوه صعوبة شديدة فى منع ضغط الجموع عليه ، إذ كان كل يتسابق إلى تقبيل يده . كذلك أسرع عمال شركة الزيت ، وهم عشرة آلاف ، إلى تحية ذلك الرجل الذى لم يجبر شركة الزيت القوية على الانحناء أمامه فحسب ، بل وأجبر السلطة البريطانية على ذلك أيضا .

وزار رضا خان ما بقى من آثار العهد الساسانى الباهر وتماثيله ، القائمة شاهداً ودليلا على عظمة الماضى ومجد السلف ، وكان يتأملها فى إعجاب وزهو وتقدير ، ثم واصل سفره عبر البصرة إلى مراكز الشيعة المقدسة و إلى النجف وكربلاء . وأهدى محافظ البصرة حسين خان موقر الملك إلى رضا خان ، تذكارا لزيارته ، أسطولا صغيرا من قوارب المطاردة فى البحيرات والأنهار .

وسارع الشعب فى النجف وكربلاء إلى فرش الطرق المؤدية إلى مزارات أهل البيت والأولياء بالسجاجيد والطنافس . وزاد الأمر على ذلك إذ لم يتردد الأهالى عند انتهاء رضا خان من زيارته لقبر الامام الحسين رضى الله عنه واتجاهه إلى مقام العباس ، أن ينحروا الذبائح فوق السجاجيد والطنافس . وبلغ الحماس بالأهلين مبلغا لايمكن وصفه ، إذ تقدم أحدهم وألقى بولديه أمام موكب رضا خان ورفع سكينه فى يده مخاطبا رضا خان « لست أملك أيها السردار الأعظم ما أضحيه لك فأنا أقدم لك ولدى فداء . لقد أنقذت وطننا الكبير وحررته من الأجانب ورفعت له بين العالمين مكانا » . وهم بذبح ولديه

لولا أن منعه رضا خان من ذلك وانتزع منه مديته وقبّل ولديه ، ثم قال فى صوت تخنقه العبرات والدموع تنهمر من عينيه « انى دواما على أتم الاستعداد لتضحية نفسى وما أملك فى سبيل رفاهية الشعب الإيرانى » . ودخل على رضا خان ، وهو بمزار الامام العباس ، السردار رشيد ، الذى كان قد حرض الأكراد على الثورة فى وجه حكومة طهران ثم فرّ بعد انكساره إلى الجزيرة ، وتقدم ، والمصحف الشريف بيمينه ، وتعلق بأهداب ثوب رضا خان وطلب منه الصفح والمغفرة فمنحهما بطل إيران إياه . وغادر رضا خان الأماكن المقدسة إلى قصر شيرين ثم قصد كرمنشاه وهمذان . وما وصل طهران حتى أتته الطائرات ببشرى أسر الشيخ خزعل ، إذ كان الشيخ خزعل لايأبه لانذارات حكومة إيران فراح يستغل مالديه من ذهب الانجليز فى اثارة الناس من جديد حتى انتهى الأمر بأسره والقبض عليه والسير به مخفورا إلى طهران .

أخذت انجلترا أمام هذا الأمر الواقع تغيّر من سياستها ، فأعلن اللورد بلفور بمجلس اللوردات فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٥ ،

أن الشيخ خزعل لم تعتبره انجلترا يوما ما حاكما مستقلا بل كان في نظرها على الدوام خاضعا للسيادة الإيرانية ، كما أعلن أيضا من تلقاء نفسه أن الاتفاقية الإيرانية الانجليزية لسنة ١٩١٩ هي مسألة قديمة لاتتمشى مع العصر الحاضر .

أخذت انجلترا على أثر هذا التصريح تسحب قواتها الهندية المعسكرة في ميناء بوشير لحماية القنصلية البريطانية العامة ومركز التلغراف هناك ، فعاد العلم الإيراني بذلك يرفرف من جديد على كل بقعة في الخليج الفارسي .

وقامت بعد القضاء على الثورة في اقليم خوزستان ، فتن صغيرة وكبيرة مثل ثورة أقسميتكو ، الذي فر بعد انكساره إلى الحدود التركية . ويرجع الفضل في هزيمته والقضاء على ثورته إلى الجنرال أمير عبد الله تاهمسب ، قائد القوات في الجزء الشمال الغربي من البلاد ، الذي وافى رضا خان بأخبار النصر ، والأخير سائر في إخضاع مقاطعة أذربيجان ، ووجه رضا خان نداءه على أثر ذلك إلى زعماء قبائل لورستان ، داعيا إياهم إلى التعاون

والتآلف مع إخوانهم جنود الحكومة ، وتسليم أسلحتهم القديمة التي يعد وجودها رمزا لعهد الفوضى القديم البائد ، وأن يتركوا مهمة الدفاع إلى جنود الحكومة حماة البلاد ، وينصرفوا إلى الأعمال الأخرى واستغلال أراضيهم ، وإحياء مجد البلاد الضائع واستعادة عظمة إيران وسابق سؤددها .

وعمل رضا خان على تأمين مستقبل الشعب الإيرانى وإعادة بناء ثقافته وتجديد فتوته والسير به على أسس المدنية والحضارة التي يسير عليها الوقت الحاضر .

ورأى الشعب أن عائلة آل قاجار ما زالت تحارب أى فكرة أو مشروع يرمى إلى نهضة البلاد ، مما يسير عليه النظام الحاضر ، فقام قومة رجل واحد ، فى اكتوبر عام ١٩٢٥ ، يعارض ذلك البيت الذى يقف فى سبيله .

خلع آل قاجار

وتنصيب رضا خان على عرش إيران

جاهد الشعب الإيرانى عام ١٩٠٦ فى سبيل الحصول على الدستور والبرلمان . ولقد قام ذلك الدستور فى عهد أسرة آل قاجار حسب رغبات الحاكم ومواتيا لسلطانه ، فلم يكن لأحد أن يلغى قوانين هذا الدستور إلا لدى اقصاء هذه الأسرة الحاكمة ، كما لم يكن إصدار مثل هذه القوانين من حق ممثلى الشعب المنتخبين بالمجلس النيابى .

واجتمع المجلس النيابى ، تحت إلحاح الشعب ، ودخل أعضاؤه فى مجادلات طويلة غير مجدية . وانتهى الأمر بطلب التصويت على مشروع بخلع أسرة آل قاجار ، والعهد إلى رضا خان بإدارة دفة الأمور فى البلاد ومنحه أعلا سلطة فى الدولة ، والوكول إليه بذلك حتى تجتمع الجمعية العمومية الوطنية وتقرر شكل الحكومة النهائى .

قام أحد النواب يعلن أنه لايتعرض لخلع الأسرة المالكة ولا يعارض فى ذلك ، وأن خلعها لايتنافى مع الدستور ، وإنما هو يتعرض للوضع الدستورى للقرار ، وهو فى معارضته هذا لايتعرض للشخصيات مطلقا ، إنما يتعرض للناحية الدستورية فقط . وعلى الرغم من قلة المعارضين فقد اتخذت تلك المسألة دوراً هاما . وخطب فيها تقى زاده ، أحد من جاهدوا لأجل الدستور ، داعيا المجلس إلى التريث فى الحل الدستورى للمشكلة . وانتهى الأمر بأخذ الأصوات ، فوافق المجلس ، بأغلبية ٨٥ صوتا ضد ٥ أصوات ، على اقتراح خلع أسرة قاجار وإقامة رضا خان وصيا على عرش البلاد حتى تجتمع الجمعية العمومية التشريعية . وأبرق بالخبر إلى كافة أنحاء البلاد بل وإلى كافة أنحاء العالم ، فانهالت رسائل التهنئة البرقية على رضا خان ، تلك الرسائل التى شفعها أصحابها بأطيب التمنيات ، وعجلت الحكومة بعد ذلك بإصدار مرسوم اجراء الانتخابات الجديدة .

ووصل الشاه أحمد القاجارى بباريس أخبار خلعه ، وكان بها

منهمكا فى ملذاته وإشباع شهواته ، فأدلى إلى الصحف الباريسية بأن خلعه لم يكن تلبية لرغبة الشعب وإنما صدر تحت ضغط القوة المسلحة . ثم عاد من جديد إلى ملذاته ومضارباته بالبورصة وسباق الخيل .

ساءت حالة الشاه أحمد واشتدت حسرته ، ولم يدر أحد أكانت حسرته بسبب فقده العرش أم فقده لممتلكاته . لقد كسب المضاربات فى البورصة وواتاه الحظ فيها ، ولكنه خسر عرشه ، فلم يكن ما كسبه ليوازى ما فقده ، ولم تكن أموال البورصة لتمكنه من المقامرة لاسترداد ما خسره . ومات فى باريس عام ١٩٣٠ ، فكان فى ذلك أشبه بالكاردينال جاليناري الذى كتب إلى البابا قائلا « لأن أموت فى باريس خير من أن أحيا فى نابلى » .

أصدر رضا خان أمره فى ٢٠ اكتوبر إلى الجنرال أمير عبد الله تامسب ، بمباشرة إخلاء قصر الشاه الرسمى الحكومى المعروف بقصر جُلستان ، وعهد إليه بتلك المهمة . فذهب

الجنرال أمير عبد الله فى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالى إلى القصر ، وطلب إلى حارس القصر أن يذهب إلى سيده محمد حسن ميرزا الذى كان قائمقاما شاهانيا بالبلاد أثناء غياب الشاه ، مدة ثلاث سنوات ، ويخبره بخلع الشاه وخلع أسرة قاجار ، ويطلب إليه أن يعد نفسه لمغادرة طهران فى مساء اليوم نفسه . كذلك صدرت التعليمات إلى سائق سيارة محمد حسن ميرزا بإعداد السيارة للسفر . وعهد الجنرال تامهسب إلى أحد الضباط بمرافقة السائق ومراقبته وامداده بالزيت والبنزين اللازمين للسفر . ثم أحضر الجنرال تامهسب ، باش اغاى الحريم وطلب إليه بشدة إخلاء جناح الحريم وعدم مس ما به من الأثاث . وجاء حارس القصر إبان ذلك بجواب ولى العهد ، معلنا موافقته على الرحيل واستعداده له ومطالبا الحكومة بجواز سفر وبنفقات السفر التى لا يمتلك منها شيئا ، فطلب الجنرال تامهسب من الحكومة صرف ٤٠٠٠٠ تمان (حوالى ١٥ ألف جنيه انجليزى) إلى ولى العهد . ودعى الجنرال عبد الله فى الساعه الثانية والنصف مجرور ميرزا ، وزير

القصر السابق ، وحمله مسؤولية المحافظة على كل ما فى القصر من آثاث وخلافه ، وأن يخلى جميع غرف القصر فى الحال ويختمها بالشمع الأحمر .

ذهب الجنرال بعد الانتهاء من تلك الاجراءات ، بصحبة الضابطين مرتضى خان ومحمد خان ، إلى ولى العهد المخلوع . ودخل الثلاثة إلى ولى العهد فى جناحه حيث كان قد انتهى من إعداد متاعه للسفر وجلس يتناول الشاى والحلوى ، وقد أُسقط فى يده لدى رؤيتهم وتولاه الاضطراب حتى هوى فنجانة الشاى من يده وتحطمت .

ادعى ولى العهد المخلوع فقره الشديد وحاجته للمال وأن عليه ديونا يجب تسديدها ، وطاب أن يصرف له رضا خان ٤٠٫٠٠٠ تمان نفقات سفر له ولمرافقيه الأربعة . وطاب ولى العهد المخلوع أيضا مصاحبة عائلته معه فأجيب إلى طلبه ، كما أُخبر أنه حر فى استصحاب من يشاء معه . وغادره الجنرال وصاحباه بعد أن أعلماه بأن ميعاد الرحيل هو فى العاشرة من مساء اليوم

نفسه . ورخص رضا خان بناء على تقرير الجنرال تاهمسب بصرف ٥٠٠٠ تمان فقط (حوالى ٢٠٠٠ جنيه انجليزى) إلى ولى العهد ، كمصاريف سفر . وصادف الجنرال تاهمسب بعض موظفى القصر السابقين يدخلون على سيدهم السابق لتحيته تحية الوداع ، وظنوا لدى رؤية الجنرال أنهم لابد ملاقوا حتفهم ، ولكن أخلاق الجنرال الكريمة ، وهو أحد زعماء ثورة الشعب والداعين إلى مجد إيران ، أبت أن تمسهم بسوء .

غادر ولى العهد حريم القصر فى منتصف الساعة الحادية عشر مساء ابعد توديع من فيه ، وسار بحراسة أحد الضباط . وغادرت سيارته طهران إلى بغداد ، عن طريق قزوين ، ورافقته فى الطريق سيارة عسكرية أخرى ممتلئة بالجنود حتى الحدود الايرانية . وانهار برحيل ولى العهد المخلوع محمد حسن مرزا آخر حجر فى بناء أسرة حكمت إيران حوالى مائة وخمسين عاما .

ولم يمض ستة أسابيع بعد ذلك حتى تُوّج رضا خان ، شاها على إيران . إذ اجتمعت الجمعية الوطنية العمومية وأدخلت ، بعد

مناقشات طويلة ، التعديلات المطلوبة على الدستور ، ونصبت رضا خان ونسله الذكور من بعده على عرش إيران

وطرأت مشكلة جديدة ، فحواها من يقوم بتقديم التاج إلى الشاه . واستغرقت هذه المشكلة البسيطة مناقشات طويلة فى البرلمان حتى فصل فيها ، فكانت أشبه بزوبعة فى فنجان . ونصب رضا شاه فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ شاها على إيران ، واتخذ لعائلته لقب بهلوى ، وأعلنت ولايه العهد لابنه الأكبر شاهبور محمد رضا . وأضيف إلى قانون العائلة المالكة مادة تنص على أن ولاية العهد تكون من نصيب الابن الأكبر للشاه ، بشرط أن يكون من أم إيرانية الجنسية ، وإلا فلا يُباح له اعتلاء العرش .

أقيمت حفلات التتويج فى شهر إبريل من السنة التالية ، بقصر جلستان ، وشهدت العاصمة حفلات نادرة رائعة ، دعى إليها عدد كبير من العظماء وكان فيهم رجال السلك السيامى ، وبينهم سفير انجلترا سير برسى لورين ، أقدم السفراء وعميدهم بإيران . وتوج أعضاء الوزارة رضا خان ، على عرش نادر شاه ،

شاهنشاها [١] لإيران ، فقدم وزير البلاط تيمور طاش إليه تاج بهلوى كما قدم إليه وزير الحربية الجنرال أمير عبد الله تاهمسب سيف الفاتح الغازى نادر شاه . وأقامت البلاد من أقصاها إلى أدناها معالم الأفراح ابتهاجا بتولية رضا شاه بهلوى منقذ البلاد ومعيد مجدها وباعث نهضتها ، ذلك الايرانى الحر الذى وقف جهوده وحيانه على خدمة وطنه واسترداد عظمة إيران السالفة وتهيئة المكان اللائق بها تحت الشمس وبين أمم العالمين العظمى .

(١) الشاهنشاه : ملك الملوك ، وهو لقب إيرانى ، قديم

إيران الحديثة

إن إيران الحديثة لتدين لرضا شاه بهلوى بكل ما حازته من التقدم ، فقد قام هذا الرجل بضروب الاصلاح التى ارتآها لبلاده وسار بها سيراً حثيثا ، بخطا ثابتة وطيدة ، فى سبيل الحضارة والمدنية ، سالكا فى طريقه مسلكا يتحاشى فيه حدوث أى احتكاك بينه وبين الملا وأئمة الشيعة فى البلاد ، فأمكنه بذلك أن يصل ببلاده إلى مالم يستطع غيره الوصول إليه ، إذ أنشأ الدولة على المثل العليا التى ارتآها فى الحياة القومية والوطنية ، وقام يربى الشعب الإيرانى ويدربه ويبنى مستقبله على هذه المثل السامية الآنفة الذكر . وسار به فى هذا المضمار فى شىء من الأناة وإنما فى تقدم ثابت وطيد إلى الأمام دواما لارجعة فيه ولاتقهقر دون أن تقف فى طريقة الصعوبات أو المشاكل .

ألغى رضا شاه الامتيازات الأجنبية فى عام ١٩٢٨ ، تلك الامتيازات التى كان الأجانب يتمتعون بها فى إيران ، وإن

وقفت انجلترا تعارض فى ذلك الإلغاء . وما لبث بعد مرور وقت قصير على تولية العرش أن أصدر قانونا للعقوبات جديدا راعى فى كيفية تطبيقه طريقه لا تنفر الأجانب المقيمين بإيران ولا تثير اعتراضهم ، فكان فى ذلك موفقا كل التوفيق .

وانضمت إيران إلى عصبة الأمم فى عام ١٩٣٠ فكان فى ذلك خطوة موفقة لحكومة الشاه . وجاس الممثلون الإيرانيون جنبا إلى جنب مع ممثلى الدول العظمى فى العصبة بعد أن كانوا قبل ذلك العهد بعشر سنوات يهمل أمرهم بباريس ويتركون فى غرف الانتظار دون أى عناية أواحترام . وكان أرفع الدولة سفير إيران السابق فى استانبول أول ممثل لإيران بالعصبة .

وجاءت المعاهدات العديدة التى عقدتها إيران منذ اعتلاء رضا شاه العرش إلى الآن مع جيرانها ، كالروسيا وتركيا أفغانستان والعراق معززة ، لمركزها السياسى ومثبتة له ، كما كان لها أثر محسوس كبير فى تجارة البلاد ومركزها الاقتصادى . ولقد تولد بين الدول الشرقية التى أفلحت فى الحصول على استقلالها وتحرير بلادها ،

نوع من العاطفة القوية ، نتيجة الجهاد للفكرة المشتركة والتفانى فى سبيلها ، الأمر الذى يؤدى دائما إلى توثق العلاقات المتينة والصداقة بينها ، فزار رضا شاه تركيا عام ١٩٣٤ واستقبله كمال أتاتورك استقبالا رائعا بأنقره كان له أكبر الأثر فى تقوية أواصر الصداقة وتحسين العلاقات بين إيران وتركيا اللتان لبثتا على عداء قرونا طويلة .

إن انجلترا لتعتبر دون شك أن فى نهضة إيران تهديداً لأملاكها فى الهند . وذلك كان الدافع الأكبر الذى دفع انجلترا فى السابق إلى العمل على احباط كل نهضة فى إيران . وجاء استرداد رضا شاه لسلطة إيران على الخليج الفارسى ضربة جديدة لانجلترا ، فانها قد اختطت قبل ذلك لمواصلاتها إلى الهند طريقا بريا يقطع بلاد العرب عبر الخليج الفارسى إلى الهند ، وصممت على تنفيذ تلك الفكرة بالقوة ، وأن تحصن ذلك الطريق وتقيم فيه مطاراتها . ولما كان تحليق الطائرات الأجنبية فى جو إيران محظورا ، فقد رأت انجلترا اتخاذ جزيرة البحرين

بالخليج الفارسى قاعـدة حربية جوية لها . وعارضت إيران هذه الفـكرة إذ أن الجزيرة المذكورة تخضع للنفوذ الإيرانى ، وإن كانت فى أيام الشاه القاجارى قد استقلت بنفسها . قرر رضا شاه تلقاء ذلك الاسراع ببناء أسطول حربى بحرى فأوفد خمسين طالبا عسكريا إلى إيطاليا لتـدريبهم على أن يكونوا ضباطا بحريين ، كما سارع بشراء مراكب حربية عنـد ما سمحت له مالية الدولة بذلك .

ووقع بعد ذلك خلاف بين أفغانستان وإيران بشأن تعيين الحدود بينهما ، وانتهى الأمر بتحكيم جنرال تركى قام بهذه المهمة خير قيام وأعاد المياه إلى مجاريها بين الدولتين . وتضافرت دول الشرق الأدنى ، التى انتزعت اسـتقلالها وحريتها من بين براثن غول الاستعمار الأوروبى ، وألّفت منها جبهة قوية للوقوف فى وجه الاستعمار الأوروبى وقفة رجل واحد ، فعُقد عام ١٩٣٥ الميثاق الشرقى ، المعروف بميثاق سعد أباد ، بين إيران وتركيا وأفغانستان ثم انضمت إليه العراق فيما بعـد ، ذلك الميثاق الذى فوجئت

أوروبا به وهز ساستها ، لاسيما الانجليز منهم ، هزا شديدا . ولم تكن تلك الجبهة لتقوم على وحدة إسلامية مظهرها التعصب كما ادعته الصحف إذ ذاك ، إنما هى نتيجة ما أملته السياسة القومية ومصالحها المشتركة دون أن يكون للدين أو العقيدة دخل فيها .

أعلن رضا شاه عام ١٩٣٢ شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية ، بواسطة حكومته ، بإلغاء الاتفاق القديم ودعاها إلى عقد اتفاق جديد مع الحكومة الإيرانية . واندفع سيرجون سيمون مندوب انجلترا بجنيف إلى مقر العصبة ، فى لهف شديد ، لدى استلامه برقية من حكومته تخبره بما أقدمت عليه حكومة إيران وتطلب منه اخطار العصبة بهذا الحادث . وغنى عن البيان أن معظم أسهم هذه الشركة تمتلكه الأميراليه البحرية الانجليزية مما يقدر قيمته بنحو ثلثمائة مليون جنيه انجليزى . ولم تفلح انجلترا وقد أرسلت مندوبيها الدبلوماسيين إلى جنيف وطهران فى صبغ مسألة شركة الزيت بصبغة دولية أوحكومية ، إذ أعلنت حكومة إيران أنها إنما تعقد الاتفاق مع شركة خصوصية لا مع حكومة ،

وانه لا وجه البتة لتدخل انجلترا . وأفاحت إيران فى جعل عصبة الأمم تتنحى عن النظر فى تلك المسألة ، فاضطرت شركة الزيت الانجليزية الايرانية تلقاء ذلك إلى أن تتمم اتفاقها الجديد مع الحكومة الإيرانية وتنهى المسألة على هذا الأساس . وبديهى أن هذا الاتفاق قد وضعته الحكومة الإيرانية بما يتمشى مع مصلحة البلاد المادية والأدبية .

إن مسألة الزيت الإيرانى هى مسألة حياة الأسطول البريطانى فى البحار الشرقيـة . ومن الحق إن نقول أن فى تولى إيران حفر آبار الزيت بنفسها زعزعة اقتصادية لها قد لايعرف مداها ، كما أنها قد لاتصل إلى النظام الذى تدرج عليه شركة الزيت الانجليزية الإيرانية فى تصريف الزيت وتجارته .

وحرصت إيران على أن تظهر للعالم ثقافتها وعظمتها الفنيـة وماضيها ، ومحافظتها على تراثها القديم وتقاليدها العريقة ، فأقيمت معارض إيرانية للفن الإيرانى فى لينينجراد ولندن . كما احتفلت إيران عام ١٩٣٤ بمرور ألف عام على مولد أعظم شعرائها ،

الفردوسى . وحج إلى إيران بهذه المناسبة ألوف من العلماء وأصدقاء الفن الايرانى ، كما احتفل بهذا العيد فى خارج إيران نفسها . وأقامت حكومة إيران تمثالا له بمدينة مشهد لهذه المناسبة .

ولقد حوى شعر الفردوسى ستين ألف بيت ضمنها تاريخ إيران القديم ووصف ثقافتها وما كانت عليه من المجد والعظمة . وإن إيران الحديثة لتمجد فيه أعظم شعرائها وأشهرهم قاطبة . إن صفحات هذا الكتاب الذى جعلت أساسه التاريخ السياسى ومحاربة الاستعمار لا تتسع لتفصيل مدى الخطوات التى خطتها إيران فى هذا الصدد ، وإن كان من الصعب عند الكلام على نهضة أمة الفصل بين السياسة والثقافة . لقد توفرت فى رضاشاه صفات الزعامة العظمى ووصل إلى تفهم شعبه والوصول إلى قرارة نفسه وامتلاك لبه ، فكان فى اخلاصه تصدر كلماته من القلب لتستقر فى قلوب أفراد شعبه وبين جوانحهم . وكان جد خبير بقومه بصير بأمورهم ملم بأحوالهم ، فعرف ما يؤلم الفلاح المسكين من مواطىء قدمه ، كما عرف آلام الجنود وما ينقصهم ، وعرف

بأنه ما من آمر له حق الأمر إلا إذا كان قد تعلم فى السابق كيف يسمع ويطيع ، فاستمع لشعبه قبل أن يناديه ونفذ رغباته قبل أن يطالبه .

ولقد وجه فى كلمته إلى طلبة الحربية المبعوثين إلى فرنسا عام ١٩٢٣ هذه العبارة : « إنكم لتعلمون أن بلادنا التى تضم موارد الثروة الفنية ومنابعها لا تزال بحاجة إلى السكك الحديدية والمصانع » . فما انتهى رضا خان من العناية بأمور جيشه ووصل بالمستوى العسكرى إلى المركز الذى كانت تصبو إليه نفسه حتى أسرع بالانصراف إلى توجيه الشعب لاستغلال منابع الثروة الغنية هذه . فبدأ فى عام ١٩٢٧ بمد خط السكة الحديدية الذى يقطع إيران ممتداً من الخليج الفارسى إلى بحر قزوين . ويبلغ طول هذا الخط ٨٦٦ ميل ، وقد انتهى العمل فيه عام ١٩٣٨ وافتتحه الشاه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٨ . وبلغت تكاليف هذا الخط أكثر من ٢٨ مليون جنية . وليس لهذا الخط أى قيمة حربية أو اقتصادية لأحد سوى الإيرانيين ، نظراً لامتداده من

الشمال إلى الجنوب . وهو فى جوهره رمز كبير لجهود الشاه فى سبيل الاستقلال الوطنى والتمشى على الخطط الأوروبية . وما دام هذا الخط يجمع بين العاصمة ومنطقتين من أغنى مناطق البلاد فلابد أن يجعل البلاد يوما ما أوفر ثروة وأشد اتحادا .

أسس الشاه مصانع للغزل والنسج ومعامل للسكر ، ثم اعد مراكز للصناعات الكيمائية يستهلك الشرق نصيبا كبيرا من منتجاتها ، كما أخذت المنتجات المعدنية ومستخرجات المناجم تزداد فى إيران زيادة كبيرة متواصلة على ممر الأعوام ، مستعينا بأحدث الطرق والأساليب والمعدات التى تساعد على زيادة إنتاج الأراضى ومحاصيلها . وسجل عام ١٩٣٥ فوزا للحالة الاقتصادية كبيرا بإيران ، إذ تأسس كثير من الشركات المساهمة والشركات التجارية للاستغلال الاقتصادى بالبلاد ، ولم يفت الحكومة أن ترقب بعين اليقظة والحذر جميع تلك المؤسسات حتى تتحقق من رعايتها التامة لحقوق الشعب ومصالح البلاد .

وافتتح البرلمان الإيرانى دورته العاشرة فى حكم الشاه

رضا خان عام ١٩٣٥ ، وأشار الشاه فى خطابه إلى حسن العلاقات واستقرارها بينه وبين جميع الدول ، ونوه بصفة خاصة إلى مظاهر الصداقة بين تركيا وإيران . ثم عرض لما يرمى إلى تحقيقه فى الدورة القادمة ، وألقى هذا البرنامج تفصيليا رئيس الوزراء فوروجى فى جلسة ١٨ يونيه ، ويتلخص فى أن يتم فى بحر العام المقبل جزء كبير من الخط الحديدى ، وأن يصل إلى العاصمة قبل انتهاء الدورة . كما أن وزارة المواصلات ستقوم بإنشاء وتمهيد طرق عديدة لتسهل على الجمهور نقل حاصلاته ومتاجره . كما قررت الحكومة إنشاء محاكم جديدة وبناء مراكز للبرق والبريد والعمل على تعميمها . وأعلنت الحكومة أنها ستوجه عناية خاصة كبيرة إلى التعليم ونشره وتحقيق هذه الأمنية العظيمة التى يخفق لها قلب رضا شاه ، وتأسيس مدارس جديدة ومعاهد للأبحاث العلمية ، وغيرها من مراكز الثقافة . والسير فى تحصين البلاد وتدعيم أسس الأمن وتوطيده فى أنحاء المملكة ، ثم العمل على رفع مستوى الزراعة واستغلال الأراضى والاستمرار

فى السير بالمستوى الاقتصادى للبلاد فى طريق التقدم باستمرار ، والإكثار من إنشاء المصانع والمعامل لسد حاجات الوطن الاقتصادية ولوازمها ومدها بكل ما فى استطاعتها اخراجه مما تحتاج إليه . وأشار رئيس الوزراء فى ختام هذا البيان إلى أن حكومة الشاه تعتقد أن هذا البرنامج يعبر عن رغبات الشعب كما يعبر عن رغباتها . ولقد قامت الحكومة بتنفيذ أغلب ما نص عليه هذا البرنامج فى السنة التالية فى إخلاص وصدق باذلة فى سبيل ذلك كل ما فى وسعها .

وهكذا تدين إيران فى كل شىء لباعث نهضتها ومحى مجدها وعظمتها رضا شاه ، فهو لها ككمال أتاتورك لتركيا ، وهتلر لألمانيا وموسولينى لإيطاليا ، فهم جميعهم طبقة من الطراز الأول من الرجال الذين لامثيل لهم فى القرن العشرين ، عرفوا كيف يشقون طريق النهضة لبلادهم من جديد ، وعرفوا كيف يستعيدون لها المجد السابق والعظمة ويسجلوا اسمها فى صفحات الخلد فى أرفع مكانة وأعز منزل .

أخذ رضا خان فى سبيل تأمين مستقبل بلاده يعد ولى عهده الأمير شاهبور محمد رضا الاعداد الذى ييسر له القيام بأعباء مهمة السهر على أحوال الشعب وحكم البلاد فى المستقبل ، فأرسله لتلقى العلم بسويسرا حتى إذا أتم دراسته هناك وعاد إلى وطنه ألحقه بالمدرسة الحربية بطهران ، تلك المدرسة التى كان يتلقى فيها الدروس كواحد من طلابها دون ميزة أو معاملة خاصة . وكان من نتائج خطة رضا شاه فى ارتباطه مع الأمم الشرقية بروابط الصداقة المتينة وحسن العلائق أن خطبت الأميرة فوزية ، كريمة المغفور له المليك السابق فؤاد الأول وشقيقة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، لسمو ولى عهد إيران الأمير شاهبور محمد رضا . وقصد سمو ولى عهد إيران فى ربيع هذا العام إلى مصر لعقد قرانه على سمو الأميرة فوزية فكان فى مروره بالأقطار الشرقية الواقعة على طريقه إلى مصر فرصة طيبة أظهرت فيها الأقطار الشرقية الشقيقة علائم الصداقة والاخلاص والشعور السامى النبيل التى تربطها جميعا برباط واحد . وكانت حفلات

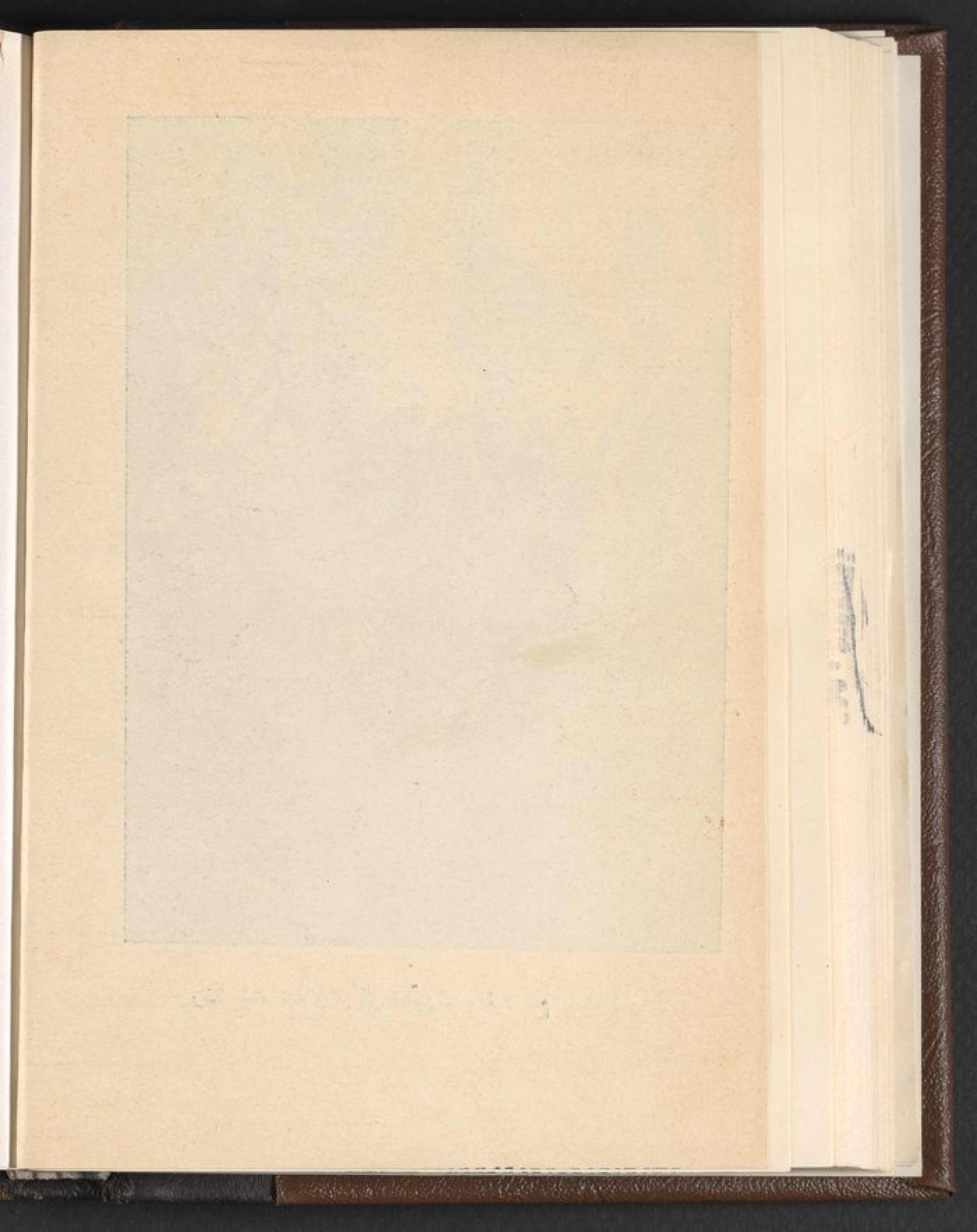
عقد القران فى القاهرة فى مارس الماضى على أروع مايكون من الأبهة والجمال كما تمثل فى حفلات الزفاف التى قامت بطهران فى شهر إبريل روعة مجد إيران . وقد اشتركت فى حفلات الزفاف بعوث الممالك الأجنبية ، غربية وشرقية ، معربة عن مساهمة شعوبها فى الاغتباط بهذا القران بما قدمته من الهدايا الفاخرة إلى العروسين الكريمين .

ولقد عنى جلالة المغفور له الملك العالم فؤاد الأول باستدعاء الأساتذة والمثقفات الاخصائيات للعناية بالأميرة فوزية منذ نشأتها آملا أن يعد منها المثل الأعلى لربات القصور المثقفات .

ولئن كان هذا القران السعيد يمثل حضارتين وثقافتين هما أقدم ما عرف العالم وأغنى ما رأى البشر ، فهناك غنم أعظم وربح أوفر ، إذ جاء هذا القران حكما حاسما صريحا على ماكان يروجه دعاة التفريق بين المسلمين من إقامة الفوارق الدينية بين مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة . إن هذه الفوارق لا تمت إلى الدين بسبب ولا تتصل بأسسه أو فروعه بأية صلة

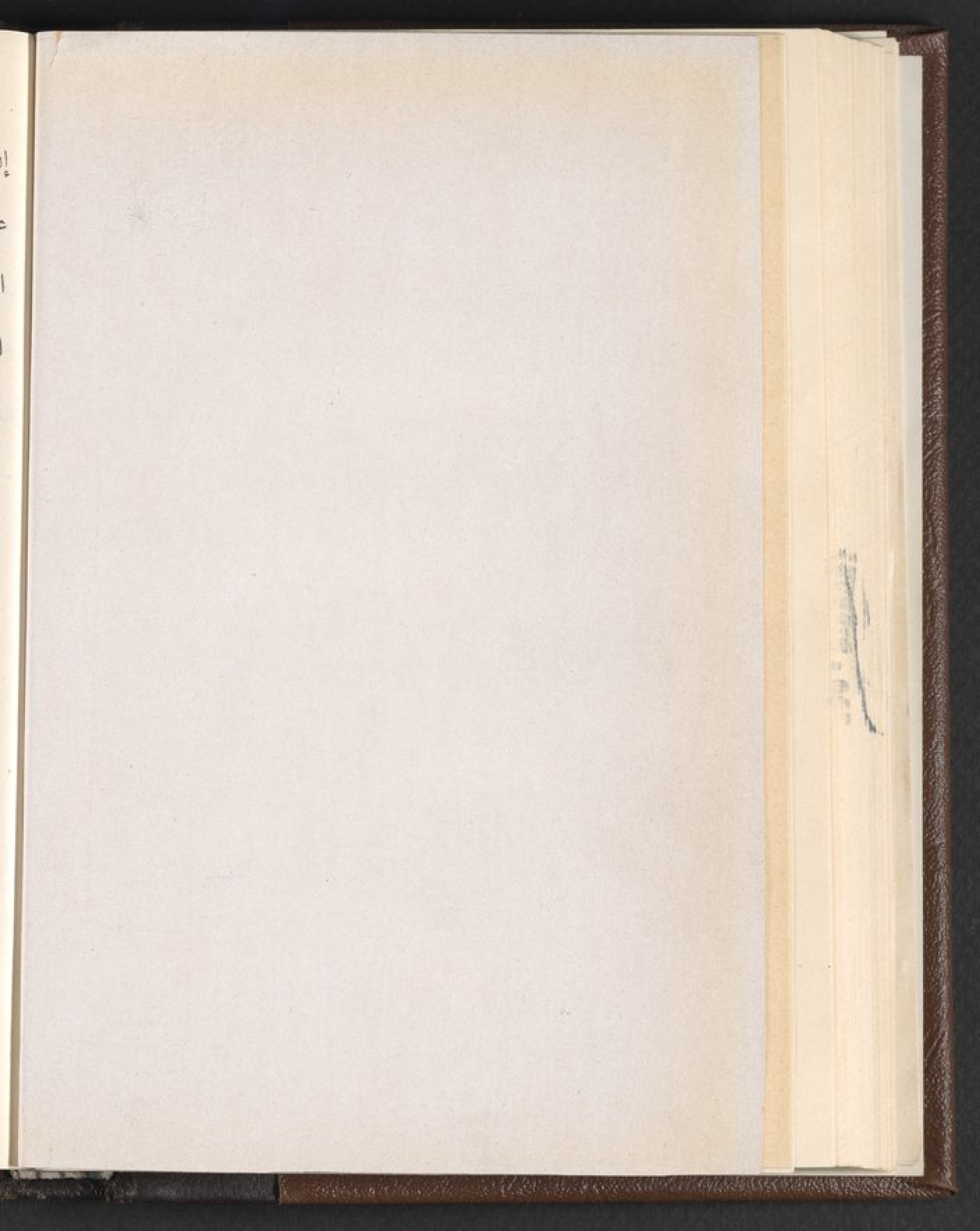


رضا شاه بهلوی وكمال اتاتورك بانقره عام ١٩٣٤ م.





حضرتا صاحبي السمو الامبراطوري ولي عهد ايران
الامير شاهبور محمد رضا وقرينته الاميرة فوزية



إن هى إلا نتيجة مسائل واختلافات سياسية بحتة قامت فى
عصور الإسلام الأولى . هذا وإن الأمم الشرقية أجمع لترى فى
ارتباط مصر وإيران بهذا الارتباط الوثيق ، تقوية للوحدة
الشرقية فى نهضتها ووقوفها فى وجه غول الاستعمار .

جغرافية إيران

بلاد إيران فى مجموعها جبلية لاسيما فى النصف الغربى منها . ويقوم هـذا الجزء على سلسلتين من الجبال القوية تمتـد من بامـير فى وسط آسـيا الى الغرب ، ثم تنحرف إلى الجنوب الغربى فى قوسين ينصرفان إلى الجنوب حتى يلتقيا عند جبال ارارات فى بلاد ارمينيا العليا بآسيا الصغرى .

وتجرى سلسلة جبـال إيران الشمالية فى قوسين ، أحـدهما وهو القوس الشرقى أو القوس الأفغانى ، ويتكون من عدد كبير من الجبـال تمشى أحيانا متوازية من الشرق إلى الغرب ، من هنـد كوه وارتفاعه ٧٧٠٠ م الى كوه بابا وارتفـاعه ٥٦٠٠ م وكوبِتْ داغ وارتفاعه ٣٠٠٠ م وجبل بلخان وارتفاعه (١٦٠٠ م) ، حتى تنحدر إلى بحر قزوين حيث ترتفع ثانية إلى ما يقرب من ٤٠٠٠ م .

وتـكون سلسلة الجبال الشرقية حدودا طبيعية بين إيران وآسيا .

وكان الطورانيون الرحل ينفذون إلى إيران من منافـذ جبال الشمال وممراتها . أما جبال البروس فانها تستطيل موازية للشاطىء الجنوبى لبحر قزوين ثم لسهول مازندران وإيران حيث يصل ارتفاعهما ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف من الأمتار ، متجهة إلى الغرب صوب سلسلة جبال ارمينيا .

أما سلسلة الجبال الجنوبية فتنقسم الى ثلاثة أقسام : جبال باتان والجبال البلوخية وجبال ساجروس . ويكوّن الجزء الشرقى من هذه السلسلة ، وهو جبال باتان ، ثلاثة مجاميع يتراوح ارتفاعها مابين ٣٤٠٠ متر و ٥٠٠٠ مترا ، وفيها ممر خيبر الشهير . وهذا الجزء الذى أصبح اليوم فى حوزة أفغانستان هو مفتاح الطريق الى الهند .

وتبدأ سلسلة جبال ساجروس قريبا من بندر عباس متجهة الى الشمال ومتفرعة الى جبـال عدة متوازية ، من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، يصل أقصى ارتفاع لهـا الى أربعة آلاف من الأمتار .

أما جبال إيران الوسطى فهى قليلة الارتفاع لاتصل إلى أكثر من ١٥٠٠ متر .

وتتخلل إيران ثلاث صحار ، فى الشمال صحراء كوير ، وفى الشرق صحراء لوت وصحراء هلمند .

تتكون جبال إيران من حجر الطباشير والحجر الجيرى ، إلا السلسلة الوسطى التى يغلب فيها حجر الجرانيت . ويكسوها فى الشتاء الثلج الذى تصهره حرارة الصيف ، الأمر الذى مهد للخصب والنماء فى مواقع كثيرة بإيران ، إلا عند الشاطىء الجنوبى على الأخص ، مما جعل سكانه يولون وجوههم شطر البحر للملاحة .

تقع إيران فى المنطقة المعتدلة الشمالية ، ولكن على الرغم من إحاطة البحر بها فى الشمال والجنوب فشتاؤها ممطر وصيفها جاف . كما أن وجود الجبال بها ، حاجزة بينها وبين البحر ، جعل مناخها فى الداخل على درجة كبيرة من الجفاف .

وتصل درجة الحرارة صيفا فى أقاليم أزربيجان وكردستان وبختيارستان وشمالى اقاليم فارس إلى ٣٥° فى نهايتها العظمى ، كما قد

تصل فى الشتاء إلى ٢٥° تحت الصفر . أما منطقة طهران وتبريز وأصفهان فجوّها أكثر دفئا فى الشتاء وأميل إلى الحر فى الصيف . وتشتد حرارة الصيف فى إيران بولايات كاشجان ويزد وتبريز وسستان . أما منطقة الخليج الفارسى ففى جنوبها يماثل الجو جو بلاد الهند ، والجوّ فى شمالها مثل جوّ أرض الجزيرة .

ويصيب هضاب إيران فى الصيف ، لارتفاعها ، نسيم البحر ، كما تنفحها رياح سيبريا فى الشتاء كثيراً من برودتها .

وتنحصر قوى إيران المائية فى ينابيع ونهيرات صغيرة متعددة . وأشهر أنهار إيران نهر قارون الذى يقع فى الجنوب .

أما حاصلات إيران الزراعية فهى الفواكه والقمح والشعير والدخان والتبغ وقصب السكر ، وتشتهر إيران بالغابات التى تحوى أجود أنواع الأخشاب الفاخرة .

وتربى بإيران الماشية والخيول والإبل والماعز ، كما يعيش بها كثير من الحيوانات ذات الفراء الثمينة كالثعالب والدببة . ويسكن غابات مازندران القديمة النمر ، وإن كان قد أخذ ينقرض من تلك البقاع .

سكان إيران

ولو أن الشعب الإيرانى يعتبر من الشعوب التى حافظت على كيانها الجنسى ، فإنه كغيره من الشعوب لم يخلُ من دخول عناصر غريبة عنه فى بلاده وامتزاجها به ، إذ امتزج به العرب فى الجنوب ، ثم المغول والتتار والتركمان فى الشمال والشرق ، ثم الأتراك فى الغرب . على أنه ما يزال فى إيران إلى الآن جهات لم يتسرب إليها أى عنصر أجنبى أو يمتزج بدماء أهلها أى دماء غريبة عنها . وأخص تلك الجهات ولايات مازندران ولورستان . وينحدر رضا شاه بهلوى امبراطور إيران من إحدى القبائل فى سوادكوه ، التى حافظت محافظة تامة على نقاء دمائها الإيرانية .

يقطن الجزء الأكبر من السكان فى السهول الواقعة فى الشمال والغرب والجنوب الغربى كنف جبال المملكة ، كما يتجول الرحّل بين الصحراوات والمرتفعات . ويجلو الرُّحّل عن الجبال إلى الأودية والسهول فى الشتاء ثم يعودون إليها فى الصيف . وبدهىّ

أن هؤلاء الرحّل يراعون فى منازلهم وفرة الأمطار وخصوبة المراعى ، وتتوافر تلك المناطق فى سفوح الجبال ومحيطها . ويتراوح عـدد البدو الرحّل فى إيران بين ثلاثة وأربعـة الملايين ، أى ما يقرب من ربع مجموع عدد السكان ، مما يجعل لهم خطرهم فى الشئون السياسية على البلاد . وسكان الجبال قوم حربيون بفطرتهم .

وأهم عناصر سكان إيران تتكون من : —

١) الأكراد : ويبلغ عـددهم حوالى ستمائة ألف نسمة يقطنون فى غرب بلاد إيران ، وفى هضاب كردستان عند أرمينيا . وهم رجال حرب أشدّاء .

ولما كان معظم الأكراد يسكنون على الحدود الواقعة بين إيران وتركيا ، فقد كانت حركاتهم الثورية مصدر متاعب لكلتا الحكومتين . كذلك كان أمر الأكراد الذين يقطنون على حدود إيران والعراق . وأشهر ثورات الأكراد ما قاموا بها فى أعوام ١٩٢٠ ، ١٩٢٥ ، ١٩٣٠ .

ب — اللوريون : وهم يقطنون جنوبى بلاد الأكراد عند جبال بُشت كوه الواقعة على حدود الجزيرة . وهم رعاة أشدّاء ، قد امتزجت الدماء العربية بدم بعض قبائلهم .

وكثيراً ما كان فقر منطقتهم ، وحدوث القحط بها ، يضطرهم إلى السطو وأعمال السلب والنهب . ولم يحدّ من شوكتهم إلا الحكومة الحاضرة التى أخضعتهم وألزمتهم حدود الطاعة والقانون .

ح — البختيارية : وتتكون منهم كثرة سكان جنوبى إيران ، ويبلغ عددهم حوالى نصف المليون تقريبا . ويتصف رجال البختيارية بالروح الحربية ، وقد لعبوا دوراً كبيراً فى سياسة البلاد الحديثة . وكان لثورتهم عام ١٩٠٩ شأن يذكر . وقد تقلد كثيرون من رجالهم مناصب رفيعة فى الدولة ، فكان وزير حربية إيران عام ١٩٣٠ منهم . وتقع فى أراضى البختيارية منابع البترول العالمية المشهورة بجنوبى إيران مما يرفّه من شأن سكان تلك المنطقة كثيرا .

د — الكاشغار : وهم عنصر مغولى تركى ، يرجع تاريخ سكناه

إيران إلى أيام هولاكوخان الذى أتى بهم من كاشغار .

وهم يسكنون السهل الساحلى فى جنوبى بوشير ثم جنوبى وشرقى أصفهان . وقد لبث هذا العنصر أقوى عناصر جنوبى إيران . وهم من أشد الرجال الحربيين ، وأكبر دليل يقوم على ذلك ، ثورتهم التى قاموا بها عام ١٩٢٨ .

هـ — العرب : وينحدر عنصرهم من قبيلتى بنى لام وكعب ، ويسكنون شاطىء إيران الجنوبى وبالقرب من حدود الجزيرة وحوض نهر قارون . وزعيم هذا العنصر هو شيخ المحمرة الذى كاد يكون فى أوائل هذا القرن مستقلا عن الحكومة المركزية فى طهران ، ولبث كذلك حتى أكرهه الامبراطور رضا شاه ، عام ١٩٢٥ ، على التسليم التام .

و — التركمان : ويقطن أغلبهم إقليم خراسان فى شمالى بلاد إيران ، ومنهم من يقطن فى شرقى المملكة عند إقليم سيستان . وهم رعاة خيول من الطبقة الأولى . وقد أخذت جموعهم الآن تقصد المدن وتستقر بها . وعددهم لم يعرف أو يحصر إلى الآن .

ل — العنصر التركى : ويوجد فى أقاليم مازندران وجيلان وأزربيجان ، وأغلبه من الرُحّل .

وترجع شهرة هذا العنصر إلى انحدار إحدى أسر إيران الحاكمة السابقة ، وهى أسرة آل قاجار ، منه .

ى — العنصر الأفغانى البلوخى : وعددهم قليل يقطن فى سيستان و بلوخستان الإيرانية . ويرجح أنهم ينحدرون من عنصر هندى إيرانى .

وكثيراً ما تضطر الحكومة الإيرانية إلى استعمال الشدة معهم ، وذلك لركونهم إلى ارتكاب أعمال السطو والنهب على الحدود ، وإن كان الباعث لهم على ذلك جدب أراضيهم ، مما يدفعهم إلى عدم الاستقرار فى مكان واحد .

ويوجد بإيران ، كما يوجد بغيرها ، أقليات وإن كان لا يصح أن تقارن بمثيلاتها فى البلاد الأخرى ، إذ أن بها من الأرمن ما يقرب من الستين ألفا ، يعيشون فى تبريز وفى أصفهان ، ويرجع عهد استيطانهم إلى أيام الشاه عباس . ثم النساطرة

ويقرب عددهم من العشرين ألفا ، ويسكنون عند أرميا . وبلغ عدد النساطرة الذين كانوا يقطنون بلاد إيران قبل الحرب العظمى ما يقرب من الستين ألفا ، لكن الأكراد أفلحوا فى إرغام أغلبهم على النزوح إلى أرض الجزيرة ، كما يوجد بإيران من اليهود ما يقرب من الأربعين ألفا ، وهم يسكنون المدن بطبيعتهم .

الدين والثقافة فى إيران

ما من ريب فى أن أهل إيران يحرصون كل الحرص على التمسك بالدين الإسلامى وإعلاء شأنه، على أنهم فى الوقت نفسه جد حريصين على تراث ماضيهم التاريخى المجيد فخورين به قوّامين عليه. وإن فيما كتبه شعراء إيران وما دوّنه فلاسفتها أكبر تأكيد لهذا الرأى وخير دليل يقوم عليه. ولقد كان هذا الشعور لدى الرجل الإيرانى خير دافع له على الاعتداد بقوميته، وعنايته بأسرته وحبه لأطفاله وحرصه أن ينشّئهم على ذلك الفخار القومى الخالد والمجد التليد، دين النبى الأكرم وسؤدد الأكاسرة العظام.

وتعتنق كثرة أهل إيران مذهب الشيعة. ومهما يكن من أمر الخلاف فى بعض المواقف بين مذهب أهل الشيعة ومذهب أهل السنّة، وهى اختلافات قامت فى أكثر الأمر على السياسة، فما من شك فى أن وجود مذهب الشيعة نفسه كان

سببا فى فتح باب الاجتهاد ووجود طبقة المجتهدين التى تخرّج منها أئمة السنية أنفسهم ؛ إذ كانت بلاد إيران هى صاحبة الفضل فى خروج التعاليم الدينية من دائرة صحراء بلاد العرب التى اشتهر أهلها بالتمسك بحرفية الكتاب ، إلى ناحية العمل بروح الكتاب والحديث . وأعظم دليل يؤيد هذا القول أن أبا حنيفة النعمان إمام أهل السنّة الأعظم وأبا حامد الغزالى المتصوّف الأكبر ، كانا من أهل إيران .

ويتفانى أهل إيران فى تبجيل علىّ كرم الله وجهه وولديه الحسن والحسين وأهل بيت النبى الكريم ويمجدونهم أروع تمجيد . ومزاراتهم فى مشهد وكربلاء يحج إليها من أقصى البلاد مئات الألوف منهم كل عام . ولقد أسلفنا القول بأن عقد روابط المصاهرة بين البيتين الملكيين الكريمين فى مصر وإيران ، قضى قضاء حاسما على التخرصات التى تذاع عن الفروق الدينية بين أهل السنة والشيعة . وحبذا لو أقدمت الجامعة الأزهرية على عمل حاسم آخر فى هذا الصدد ، بأن تفتح

باب الانتساب بها لأبناء إيران وتنظم دراسة فرق الشيعة بكلياتها .

ويقوم بجانب أهل الشيعة فى إيران الذين يبلغ عددهم حوالى الخمسة عشرة مليونا ، مليون واحد من أهل السنة ، معظمهم من الأكراد الذين عرفوا بتعصبهم الدينى الشديد ، حتى كان يقوم كثير من المشاحنات الدموية بين الفريقين لمجرد اختلاف الرأى أو المذهب . وما ثورات الأكراد فى وجه تركيا الكمالية وتعدد عصيانهم عنا ببعيد .

إن أثر إيران فى تاريخ الثقافة رائع مشهود ، بما سجلته آثار امثال ناصرخسرو وسعدى وحافظ والفردوسى وبهزاد وجلال الدين الرومى وعمر الخيام والعطار وأضرابهم . وفى شاهنامة الفردوسى تدوين كامل لتاريخ إيران الشعبى ونواحى البطولة فيه ، يتناقل أهل البلاد شعره ويروونه ويتغنون به وينشدونه فى كل آن ومكان .

وقد نقلت معظم كتب الفلسفة والشعر الإيرانية الى اللغات الأوروبية المتعددة ، كما زخرت معظم متاحف العالم الكبرى بروائع الفن الإيرانى .

وألغى رضا شاه الحجاب فى بلاده بعد أن جعل من المرأة الإيرانية ربة بيت على الوجه الأكمل ، وضمن لها حياة منزلية هنيئة بما أصدره من قوانين فى اكتوبر سنة ١٩٣١ لاسيما فى ناحية الطلاق ، دون أن يتعدى فى ذلك حدود الدين . كذلك وحّد الزى فى إيران ، وألغى الألقاب ، فقضى بذلك على مظهر من مظاهر التناقض والفوضى التى عرفت بها كثير من الممالك الشرقية .

وأسس الشاه جامعة فى طهران عام ١٩٣٠ . ذلك إلى أنه يوالى كل عام إرسال عدد كبير من الشباب الإيرانى ، قد يعدو المائة عداًّ ، إلى مختلف الجامعات الأوروبية . وغنىٌّ عن البيان أنه لم يهمل أمر نشر التعليم الإلزامى فى البلاد ، إذ بدأ به عام ١٩٢٨ . ولن تمضى إلاّ أعوام قلائل حتى تكون الأميّة قد قُضى عليها قضاء تامًا فى إيران .

وتلعب الصحافة فى إيران دورا مهما فى تمهيد الرأى العام

لقبول الاصلاحات والتحسينات التى تَقوم بها حكومة الشاه وتعمل على إدخالها بالبلاد .

ولاشك فى أن الخطّة الحكيمة التى تجرى عليها حكومة الشاه فى عدم اندفاعها نحو الحضارة الأوروبية دون تبصرّ ، بل أخذها بما يتفق مع تقاليد الشعب الإيرانى وماضيه المجيد ، لذاته أثر كبير فى سرعة تقدّم البلاد ونهضتها .

الحالة الاقتصادية فى إيران

إن ما قد يشاهده الإنسان الآن فى عدم مسايرة إيران تماما لمقتضيات العصر الحاضر فى نواحى الاقتصاد والمواصلات ليرجع ، دون شك ، إلى ما عانته البلاد سنين طويلة تحت حكم آل قاجار من إهمال هذه النواحى إهمالا تاما . على أن ما قام به رضا شاه من خطوات سريعة حاسمة فى هذه الناحية وما سار فيه من استغلال موارد البلاد ومنابع الثروة بها وتأسيس المصانع والمعامل فى أنحاء البلاد وشق الطرق وتمهيدها وحماية الثروة الأهلية ، ليبشر بقرب تبوء إيران المركز اللائق بها فى هذه الناحية .

يقوم نظام الرى فى بلاد إيران ، فيما عدا النهيرات والقنوات ، على ما يسمونه بالخانات ، وهى قنوات تجرى تحت الأرض ، وهذا النوع الأخير لا يعرفه العالم إلا فى بلاد إيران . كما أن هناك مساحات واسعة تغمرها الأمطار ، إلا أن سمك الطبقة الملحية التى تكتنف طبيعة الأرض فى تلك الأماكن لا تجعلها صالحة للزراعة . وتعمل حكومة الشاه على إصلاح الأراضى البور وتسهيل

نقل المحاصيل حتى تتلافى البلاد بذلك ما كان يقع فى الماضى من مجاعات بسبب قلة المحصول وصعوبة نقل المواد الغذائية إلى المناطق التى كان يصدبها الجدب .

وأهم محاصيل بلاد إيران الزراعية الحبوب ، لا سيما القمح والأرز ، والأخير يزرع فى مساحات كبيرة ويصدر منه إلى الخارج حيث يباع بأثمان مرتفعة فى الأسواق الأجنبية . كذلك تقوم فى إيران حدائق كثيرة تأتى بمحصول وفير من الفاكهة ، كالبرقوق والمشمش واللوز والخوخ والتفاح والكمثرى والموالح والتين والعنب والبنح والزيتون . ويجفف كثير من هذه الفواكه بعناية كبيرة ويصدر إلى الخارج . هذا إلى أن زراعة الخضراوات من الزراعات الرائجة فى إيران . ويعتبر الدخان والتمباك فى إيران من المحاصيل التى تصدر إلى الخارج . وهناك محاولة لزراعة القطن قد بدئ بها ، وينتظر لها نجاح كبير . وتعتبر إيران من بلاد العالم التى تصدر الحرير ، وقد بلغ ما صدرته عام ١٩٢٦ من الحرير الخام أكثر من ١٢٠٠ طن .

ويقوم البدو الرُّحَّل من أهل إيران ، بتربية الماشية ، وقلّ من يمارس هذه الحرفة من أهل الأمصار وسكان القرى . وأهم أنواعها ، الاغنام للحومها وصوفها الذى يستعمل فى صناعة السجاجيد التى اشتهرت بها إيران منذ القدم . ويلى الاغنام فى الأهمية الماعز ثم البقر والجمال والحمير والبغال . كما يرعى كثير من قطعان الخيل على أيدى الرُّحَّل فى نواحى كثيرة من البلاد . وأهم حيوانات الحمل فى إيران الجمال والبغال ، وتستخدم فى النقل والمواصلات . وغنىٌّ عن البيان أن وسائل النقل الحديثة كالسيارة وغيرها مما أدخلته حكومة الشاه ، إنما تهاجم الوسائل القديمة مهاجمة عنيفة تكاد تقضى عليها . ولا نختم الكلام عن تربية المواشى فى إيران دون أن ننوّه بتربية الدواجن فى بيت كل فلاح بانتاج غزير .

وتحوى بلاد إيران مساحات قليلة من الغابات التى تستعمل أخشابها فى الوقود ، ومنها ما ينتج أنواعا ثمينة من الأخشاب كالماهوجنة وأشجار السنديان والبقس . وتقطن فى هذه الغابات

الحيوانات ذات الفراء ، وتقوم على فرائها تجارة رائجة فى إيران . وقد أصدرت حكومة إيران عام ١٩٢٧ قانونا لحماية الغابات والاكثار منها .

وعلى الرغم من تعدد البحيرات والنهيرات داخل مملكة إيران ، فان الأهالى لا يمارسون صيد السمك ممارسة واضحة إلا فى الخليج الفارسى وبحر قزوين . وإنتاج الأول يسد حاجة الأهلين الغذائية ، أما محصول الثانى فقد عقدت بشأنه حكومة السوفييت اتفاقية مع حكومة إيران فى ١ اكتوبر سنة ١٩٢٧ تخول لها احتكار صيده لمدة خمس وعشرين عاما . وأشهر أنواع الأسماك فى بحر قزوين البطارخ (الكافيار) ذو الشهرة العالمية المعروفة ، وهو ذو إيراد محسوس فى إيران .

أما ثروة إيران المعدنية فانها لم تحصر بشكل واضح إلا فى السنين الأخيرة . وقد دلت الاختبارات على أن البلاد تحوى أنواعا كثيرة منها ، ففيها الحديد والزنك والرصاص والفضة والكوبات والنيكل والذهب وحجر المنجنيز والزئبق

والبلاتين . ويوجد بجانب ذلك مناجم للملح والنترات والأحجار الجيرية والبوتاس ، كما تحوى جبال إيران محاجر غنية ، وأنواعا من الجبس والاسمنت .

إن أبرز ناحيـة من نواحى ثروة إيران المعدنية البترول . ومنابع البترول فى جنوبى إيران ذات شهرة عالمية ، حتى تكوّن لاستغلالها عام ١٨٨٩ شركة الزيت الايرانية الانجليزية برأس مال قدره ١٣½ مليون جنيه انكليزى ساهمت فيها الحكومة الانجليزية نفسها بمبلغ ٧½ مليون جنيه . وقد وصل رأس مال هذه الشركة الآن إلى ما يقرب من ثلاثمائة مليون من الجنيهات . وتقع تلك الآبار فى أرض البختيارية ، وتقوم معامل التكرير عند عبدان والمحمرة . ونصيب الحكومة الإيرانية من إيرادات شركة الاحتكار يعدّ من أهم موارد ميزانية الدولة . وقد أفلح رضا شاه فى تعديل شروط الاحتكار ، كما أسلفنا ذكره ، بما يعود على الدولة بنصيب أكبر من الأرباح . ولا تقتصر سيطرة هذه الشركة على آبار البترول فى جنوبى إيران بل هى تتعداها إلى مناطق الزيت فى العراق والموصل .

وكان من مآثر نهضة رضا خان بالبلاد سعيه إلى إحياء الصناعة فى إيران وبناء المصانع الحديثة . وهو يرمى بذلك إلى أن تستغنى البلاد بمنتجاتها ، دون أن تحتاج إلا إلى استيراد كميات قليلة من المصنوعات والمنتجات الأجنبية .

وتشتهر إيران منذ القدم بصناعة السجاد ، فكان طبيعيا أن تعنى الحكومة عناية فائقة بهذه الصناعة القومية المجيدة ، حتى ازدهرت وبدأت تغمر أسواق العالم من جديد . وأهم مراكز لصناعة السجاد بإيران هى سلطان أباد وتبريز ويزد وكرمان . وقد تقدمت شركات ألمانية وأمريكية لتموين هذه المراكز الصناعية بالمال والخبراء والأدوات اللازمة . ومما يؤثر عن عناية رضا شاه الخاصة بصناعة السجاد ، أنه أصدر أمره فى عام سالف باحراق انتاج عام كامل بسبب تفشى وباء فى محصول الصوف فى ذلك العام ، حتى لايؤدى ذلك إلى تشويه سمعة هذه الصناعة . ولما كان برنامج الشاه الاصلاحى يشمل تأسيس المصانع الحديثة ، فقد بدأت حكومته بتأسيس مصانع

للصوف عام ١٩٢٨ فى تبريز ثم فى أصفهان ، كما أقامت مصنعا للحرير فى مدينة رشت ، وآخر للشاهى فى مازندران عام ١٩٣١ . وكذلك أسست مصانع لغزل الصوف والقطن فى همذان وطهران ومشهد . وكان لتحريم الحكومة على ابناء الشعب ، وبخاصة موظفى الحكومة ، ارتداء المنسوجات التى ترد من الخارج ، أثر كبير فى رواج منتجات المصانع الوطنية التى أصبحت تنتج ما فيه الكفاية لحاجات الشعب . وما لبثت الحكومة بعد ذلك أن أقامت مصانع أخرى لصناعة الثقاب فى تبريز وأخرى للسكر ولصناعة الحديد . وينتج مصنع الحديد فى سمنان أكثر من خمسة آلاف طن يوميا . هذا عدا إقامة مولدات القوى فى مدائن كثيرة لامدادها بالنور والقوى المحركة . وستسير حركة إقامة المصانع فى إيران سيراً حثيثا وتتقدم تقدما مرضيا ملموسا .

كانت العملة فى إيران حتى عام ١٩٣٠ هى الكران والتمان وكانت تسك من الفضة . وسبّب سقوط أسعار الفضة المشهور فى أسواق العالم عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، هزة عنيفة فى مالية

إيران ، اضطرت الحكومة الايرانية إزاءها إلى اتخاذ الذهب أساساً لعملتها ، فسكّت الريال والبهلوى ، والأخير يسارى جنيها انكيزيا تقريبا . وأفاد هذا العمل كثيرا فى إصلاح حالة النقد وثبات قيمته فى البلاد ، ومن ثمّ أصدرت الحكومة آخر عام ١٩٣١ ، أوراق النقد للتعامل ، واشترت ما كان موجودا منها فى البنك الانجليزى الامبراطورى لإيران . وأصبح إصدار أوراق النقد من حق البنك الأهلى الايرانى ؛ وبذلك أتم الشاه تحرير مالية البلاد كما حرر أراضيها من قبل .

ولقد لبثت بلاد إيران حتى عام ١٨٨٩ م خالية تماما مما يصح أن يطلق عليه لفظ بنك ، اللهم إلا من بضعة محال لاستبدال العملة وصرفها .

وسمحت الحكومة عام ١٨٨٩ بانشاء بنك انجليزى ، هو بنك إيران الامبراطورى الذى ظل أكبر بنك فى البلاد حتى عام ١٩٣٠ . وحصل هذا البنك على امتياز إصدار ورق النقد . وتلا إنشاء هذا البنك الانجليزى ، بنكا روسيا كان معروفا باسم

البنك الروسى الإيرانى ، وكانت ترعاه الحكومة الروسية إذ ذاك ، ويتولى شؤون تجارتها ومعاملاتها المالية هناك . وجاء بعد ذلك افتتاح بعض فروع للبنك العثمانى فى بلاد إيران . وكانت أعمال تلك البنوك الأجنبية قبل الحرب وقفا على خدمة الأجانب ومصالحهم لاسيما مصالح انجلترا والروسيا الاقتصادية .

وبدهى أن حالة النواحى الاقتصادية لم تكن بخافية على رجال النهضة الإيرانية الحديثة ، فبدءوا عام ١٩٢٥ بتأسيس بنك بهلوى للتسليف ، خاصا بالجيش ، ثم أسس البنك الأهلى الإيرانى عام ١٩٢٨ وانتدب لإدارته خبراء من الألمان . ودرج هذا البنك فى طريق التقدم والنجاح حتى أصبح بنك الدولة الرسمى .

ووضعت الحكومة الجديدة خطة ترمى بها إلى إنشاء بنوك زراعية وصناعية ، على أحدث طراز ، لخير العامل والزارع ورفاهية الشعب ، حتى اقتصرت أعمال البنوك الأجنبية على شؤون التجارة الخارجية فقط .

عرف رضا خان ما كانت عليه البلاد من رداءة الطرق وسوء حال الدروب ، وعرف فوق ذلك ما فى إصلاح تلك الطرق من النفع فى ترويج تجارة البلاد وسرعة المواصلات وتسهيل نقل المحاصيل وربط أجزاء المملكة بعضها ببعض ، فعمل على تمهيد الطرق لسير سيارات النقل الكبيرة وسيارات الركاب ، حتى بلغ طول بعضها أكثر من ألف كيلو متر ، وهى فى مجموعها تعدو العشرين ألفا من الكيلو مترات ، بين أوعر المسالك وأصلد الصخور خلال الجبال . وكذلك أقام عددا كبيرا من الجسور . وكان لحركة إصلاح الطرق هذه أثر بارز فى ازدهار التجارة ، علاوة على فضلها فى تسهيل حفظ الأمن فى البلاد ، وسرعة نقل الجنود من مكان إلى آخر .

وكان مما حدا حكومة الشاه إلى الاسراع فى إصلاح الطرق ، عدم وجود خطوط حديدية طويلة إذ ذاك ، إذ لم يكن بإيران فى ذاك الوقت إلا بضعة خطوط قليلة لا يعدو طول أكبرها ١٥٠ ك م ، تبدأ من طهران إلى أمكنة قريبة . وتنبه الشاه

إلى هذه الناحية فبدأت حكومته عام ١٩٢٧ بمد خط حديدى يقطع البلاد من الشمال إلى الجنوب أى من بحر قزوين إلى الخليج الفارسى ، مبتدئا من بندر شاه على بحر قزوين مارًّا بطهران وهمذان وفوزية أباد إلى بندر شاه بور على الخليج الفارسى . ويبلغ طول هـذا الخط ٨٦٦ ميل ، وقد انتهى العمل منه عام ١٩٣٨ وافتتحه الشاه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، و بلغت كُلفَهُ أكثر من ٢٨ مليون جنيه انكليزى . وأول قطار سار على هـذا الخط هو المقل لسمو ولى عهد إيران الأمير الامبراطورى محمد رضا شاه وعروسه صاحبة السمو الامبراطورى الأميرة فوزية .

لم يتردد رضا شـاه فى إدخال وسائل النقـل والمواصلات الحديثة فى بلاده ، فكان طبيعيا أن يعنى بأمر الطيران ، لا سيما فى بلاد واسعة مترامية الأطراف مثـل بلاد إيران . فالطائرة تقطع المسافة بين طهران وبوشير فى سبع ساعات فى حين تقطع السيارة نفس المسافة فى أسبوعين تقريبا ، وتستغرق القوافل سبعة

أسابيع فى قطعها . ومنحت حكومة إيران عام ١٩٢٧ شركة يونكر الألمانية للطيران حق إنشاء أربعة خطوط جوية للركاب بيانها كالآتى : —

الأول : وطوله ٥٧٨ ك م بين طهران وهمذان وكرمنشاه وقصر شيرين (إلى بغداد والقاهرة) .

الثانى : وطوله ١٠٠٠ ك م بين طهران وأصفهان وشيراز وبوشير (إلى كرتشى وبومباى) .

الثالث : وطوله ٨٠٠ ك م بين طهران ومشهد (إلى هرات وكابول) .

الرابع : وطوله ٣٠٠ ك م بين طهران ورشت (إلى باكو) .

وموانىء إيران فى الشمال ، أى الواقعة على بحر قزوين كبندر شاه ورشت ، فى حالة جيدة ، تصلح لرسو السفن وسير التجارة . أما فى الجنوب فلم تكن الموانىء على حالة مرضية ، فأخذت حكومة الشاه توجه إليها فائق عنايتها لاسيما مينائى بندر شاهبور وبوشير على الخليج الفارسى .

وأول ماعرفت إيران البرق فى عام ١٨٦٤ ، إذ أنشأ الانجليز خطاً تلغرافيا يعبر إيران ليربطوا لندن ببلاد الهند مستعمرة التاج البريطانية . ولبث هذا الخط مع بضعة خطوط أخرى صغيرة حتى أول ابريل سنة ١٩٣١ احتكارا لشركة تلغراف الهند الأوروبية الانجليزية . وما تزال أهم الخطوط البرقية فى إيران ومركز اتصالها فى الخليج الفارسى ، التى تتبع تلك الشركة ، لها خطورتها الكبرى . كذلك أقام الروس فيما مضى خطوطا برقية عدة فى شمالى البلاد . هذا إلى أن الحكومة الإيرانية الحالية قد أنشأت أكثر من ستة آلاف كيلو متر من الخطوط البرقية .

وأسست الحكومة الإيرانية محطات لاسلكية عام ١٩٣٠ ، كان لها فائدتها العظمى فى سرعة ربط أجزاء المملكة بعضها ببعض . وتحتكر التليفون فى إيران شركة وطنية « شركة تليفون إيران المساهمة » ، وتشرف عليها الحكومة الايرانية إشرافا تاما . وقد أبدت تلك الشركة على حداثة عهدها نشاطا كبيرا ، إذ مدت شبا كا تليفونية عدة فى مدن إيران جميعها و بلدانها .

ويملك الروس فى الشمال بضعة خطوط تليفونية صغيرة خاصة ، كما تملك شركة الزيت الإيرانيـة الانـكليزية فى الجنوب خطا تليفونيا خاصا يبلغ طوله ٢٤٠ ك م . ومما لاشك فيه أن إقامة شباك البرق والتليفون فى إيران وتزويد البلاد بها ، قد جنت منه تجارة البلاد مزايا عدة وفوائد جليلة عظيمة .

***

لقد أسلفنا القول فى أن تيسير سبل المواصـلات قد أفاد الحركة التجارية فى بلاد إيران فائدة عظمى ، وبدهىّ أن تلك الفائدة تعم تجارة البلاد فى أسواقها الداخلية والخارجية . ومركز التاجر فى إيران يحاط بالاحترام والتقدير ، ومما زاد فى تثبيت مركزه هناك التفات حكومة البلاد إلى إصلاح الغرف التجارية ونشرها ورعايتهـا . ويرجع تقدير الحـكومة والشعب للتاجر الإيرانى إلى الدور الاجتماعى الذى يقوم به ؛ إذ يقوم بدور الوسيط بين الأرياف والمدن وبين الوطن والخارج ، فهو باستيراده خير منتجات أوروبا إنما يساعد فى تقدم البلاد فى الناحيـة

الاجتماعية . وتقوم التجارات الكبرى وحركتها فى إيران فى مدنها المهمة الكبرى .

تقوم تجارة أسواق إيران الداخلية على جمع المحاصيل والبضائع التى يراد تصديرها فى مراكز التجارة وعرضها للمبادلة مع البضائع الأوروبية ، تلك البضائع التى لا تسمح حكومة البلاد إلا باستيراد ما تحتاج اليه البلاد ولا تنتجه . ويتمثل فى نقل المحاصيل والبضائع إلى مراكز التجارة وسائل النقل القديمة والحديثة ، فترى البغال والجمال محملة تسير جانب السيارة الحديثة . وأهم مراكز التجارة فى إيران البلاد هى طهران وتبريز وهمذان وأصفهان ورشت وشيراز وبوشير . وتختص الأسواق العامة الكبرى فى كل مدينة بتجارات معينة ، ففى مشهد المدينة المقدسة تتركز تجارة الصوف ، وفى تبريز تقوم تجارة الفواكه المجففة والفراء ، كما تختص أسواق أصفهان بتجارة المعادن والأكياس والبفتة ، فى حين تعتبر همذان مركز تجارة الجلود وجوز المفص . وفى شيراز أسواق مصنوعات

الفضة المشهورة . أما مراكز تجارة السجاد الإيرانى المشهور ففى كرمان وشيراز وقاشان واستراباد وهمذان وتبريز وطهران . والمدائن السالفة الذكر هى المسموح فيها باقامة أسواق بيع المستوردات الأوروبية التى تسمح الحكومة باستيرادها .

ولا تصدر إيران من المصنوعات إلا السجاجيد ، وفيما عدا ذلك فكل صادراتها محاصيل ومنتجات أولية ، أما وارداتها فالجزء الأعظم منها المصنوعات . وأعظم ما تصدره بلاد إيران هو الزيت المعدنى (النفط) الذى تستخرجه شركة الزيت الايرانية الانكليزية . وتكوّن صادرات الزيت أكثر من نصف صادرات البلاد ، ويلى ذلك فى المنزلة السجاجيد ، ثم يأتى بعد ذلك فى الصادرات المواد الأولية وأهمها الصوف والفاكهة المجففة والحرير وشرانقه .

أما أهم ما تستورده بلاد إيران فهو المنسوجات القطنية والسكر والشاى ، وهى فى مجموعها تكوّن اكثر من نصف الواردات ، ثم يأتى بعد ذلك المنتجات الآلية ، ثم الورق والألوان والمصنوعات الخزفية والسلع الصغيرة .

وأسواق المستوردات الأوروبية تقع أهمها فى كرمنشاه وبوشير جنوبا ، ثم فى طهران وبهلوى وتبريز شمالا .

وأهم الممالك التى تتعامل تجاريا مع إيران هى بريطانيا العظمى ثم روسيا ثم الهند البريطانية ثم مصر ثم ألمانيا ثم فرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية ثم بلجيكا ثم العراق فايطاليا فتركيا فأفغانستان .

وكانت الهند البريطانية تسيطر ، فى السنين التالية للحرب العظمى ، على تجارة بلاد إيران وأسواقها كافة ، وما لبثت أن سارت أمور العالم سيرها الطبيعى فأخذت سيطرة الهند البريطانية على أسواق إيران تقل تدريجا . وكان أهم ما توردە انجلترا المنسوجات والمصنوعات المعدنية والسيارات والآلات ، كما كانت واردات إيران وقفا على الهند وبريطانيا فقط . ولقد ساعد على ذلك عدم صفاء الجو السياسى بين العراق و إيران إذ ذاك وما كان يتسبب عنه من عرقلة النقل التجارى . وفقدت انجلترا فى مايو سنة ١٩٢٨ امتيازاتها الجمركية هناك ، فكان فى ذلك ضربة قاضية

على مركزها التجارى فى واردات إيران ؛ إذ ما لبثت وارداتها أن سقطت نسبتها من ٦ / ٤١ ٪ إلى ٣ / ٢٧ ٪ عام ١٩٢٨ / ١٩٢٩ .

أما واردات إيران من الروسيا فقد لبثت نسبتها حتى عام ١٩٢٩ لا تعدو ٣٧ ٪ . فلما عقدت معاهدة تجارية بين البلدين فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٣١ ارتفعت بعدها نسبة صادرات الروسيا إلى إيران بمايقرب من ٧٠ ٪ . وفضلا عن أن معظم الأراضى المنتجة بإيران هى الأقاليم الشمالية بها ، فان بلاد الاتحاد السوفيتى تعتبر معبر الصادرات الايرانية إلى أوروبا . وبالرغم مما قد ينتاب التبادل التجارى بين بلاد الاتحاد السوفيتى وبلاد إيران من مشاكل وأزمات ، فمما لا جدال فيه أن تجارة الروسيا تحتل مركزا ممتازا فى أسواق إيران حتى لتكاد بعض الواردات الايرانية تكون احتكارا لها .

نستنبط مما سبق ذكره أن واردات إيران يكاد يكون ٩٠ ٪ منها وقفا على بلاد الاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى ،

وما بقى فهو من نصيب الممالك الأخرى . وتورد فرنسا إلى إيران المنسوجات الدقيقة ، وألمانيا الآلات والأصباغ والسلع ، وبلجيكا السكر والمنسوجات الصوفية ، وإيطاليا المنسوجات ، والولايات المتحدة السيارات وحديد الانشاءات . أما تجارة بلاد إيران مع جاراتها كالعراق وتركيا وبلاد الأفغان ، فلا تعدو تبادل المحاصيل . وللعراق أهميتها التجارية الخاصة بالنسبة لتجارة إيران إذ هى معبرها إلى البحر الأبيض المتوسط .

وخطت الحكومة الإيرانية عام ١٩٢٨ خطوات موفقة مجيدة فى تنظيم الحركة التجارية فى البلاد ، فأصدرت تشريعا لتنظيم الجمارك والغرف التجارية ، وغنىّ عن البيان أن مركز إيران التجارى يلعب دورا خطيرا فى سياسة البلاد الخارجية ؛ إذ كان ذلك حينا من الدهر من أسباب تنافس النفوذين الروسى والانكليزى فى البلاد أمدا طويلا . كذلك اهتم المجلس النيابى الإيرانى بادخال التحسينات التى تزيد فى إنتاج البلاد وتقوى نواحيها الاقتصادية ، وذلك فى سبيل القضاء على سياسة

الاحتكار الاقتصادى التى كانت تجرى عليها دول الغرب فى إيران . وجاء تنظيم الحكومة الإيرانية لجمارك البلاد ووضع يدها عليها ، وما شرعته للتجارة عام ١٩٣١ أكبر كفيل لاحتكار التجارة والصناعة بإيران فى أيدى أبنائها وحكومتها .

***

إن نهضة إيران الحديثة قد بان أثرها محسوسا فى الشرق بل فى العالم أجمع . وها هو ذا رضا شاه بهلوى يسير ببلاده وشعبه إلى ذرى المجد بخطوات ثابتة مطمئنة ، وكل إيرانىّ فخور بتراث الماضى المجيد ، مجدّ فى حاضره الزاهر ، غارس أحسن الغرس للمستقبل السعيد .

بحث فى الشيعة

بقلم الأستاذ محمد حسن الأعظمى

السكرتير العام لجماعة الإخوة الإسلامية

قدم صديقى الأستاذ الساداتى كتابه الفريد عن نهضة إيران فى عهد حضرة صاحب الجلالة الامبراطورى رضا شاه بهلوى منشئ إيران الحديثة ، وهو بهذا المؤلف النافع يؤدى لقراء العربية وللأخوة الاسلامية خدمة نذكرها وسيذكرها التاريخ معنا بالشكر والاعتراف بالجميل . وقد تناول فى حديثه عن إيران ثقافتها و دينها ، فكان لا بد له عند بيان المعتقدات من إيضاح مذهب الشيعة الذى تدين به الأغلبية فى إيران . ولكن الأستاذ ، وله الشكر ، أحسن الظن بى وقلدنى شرف القيام بتقديم عجالة فى مذهب الشيعة ، ونحن فى هذا العصر أحوج

ما نكون الى أن يعرف بعضنا آراء بعض وعلى ضوء المعرفة يقوى الاتصال ويدوم الاخاء . وأحب أن يعرف قارىء هذا البحث أننى وإن كنت قد نلت شرف الحصول على الشهادة العالمية من الجامعة الأزهرية فى مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان فانى قبل قدومى إلى مصر من بلاد الهند كنت شغوفا بالاطلاع على جميع المذاهب الاسلامية خاصة ودراسة الديانات الأخرى عامة . وذلك لأن المناظرات الدينية فى بلاد الهند سوقا رائجة ولا تنقطع مواسمها طول العام ، ولابد للمناظر من معرفة الحجج والالمام بما عند الآخرين . فأتاح لى ذلك أننى درست أصول جميع النحل الاسلامية من سنية وشيعية ، بما يتفرع عنهما من مذاهب ومقالات مختلفة ، ومن بينها مذهب الشيعة الامامية أو الاثنا عشرية التى نحن بصدد الحديث عنها . وما كان شىء يحزننى ويهيج بلابل صدرى سوى هذه الفرق المتعددة المتناحرة فى الاسلام وكل منها ينتسب إليه ويستدل به على معتقده ، وكل منها ينطق بالشهادتين ويدين بالشعائر والأركان من صلاة وزكاة وصيام

وحج وما يتبع ذلك من معاملات وحدود وآداب . ثم أراهم بعد ذلك يتبارون فى النضال ويحاول كل فريق أن يفنى الفريق الآخر ، فاذا لم يستطع السبيل إلى ذلك عمد إلى التفسيق والتجريح ثم الى التشهير والتكفير . بل رأيت أن المسلمين يلقون من إخوانهم أضعاف ما يلقون من أعدائهم من الأذى والاضطهاد والقتل بينما أرى الطوئف الأخرى ، وان تباينت فى كثير من أصولها وتشعبت فى أكثر فروعها لا تمنعها ذلك من ضم صفوفها واتحاد كلمتها ، فى حين أن كثيرا منها يدين بعقائد التفريق والتمييز بين الطبقات ، كما هو معروف فى الديانة الهندوكية ، ورغم ذلك فهم يتبادلون كل معونة فى إدراك خيرات الحياة والاستمتاع بطيبات الوجود ، من بذل وتضحية وايثار ، حتى أدركوا من أسباب النجاح مبلغا يُحسَدون عليه فى التقدم دينيا وماديا وصناعيا وتجاريا ، وبالجملة علما وعملا ، بينما ترى المعارك الدموية تفتك بالألوف من المسلمين فى بعض البلاد تلبية لدعوة التفريق التى ينشرها الجهال بالحقائق وبأخطار العواقب . وفكرت فى أسباب هذا النضال وهذه الحرب التى لايخمد سعيرها فاذا بها

لاشىء ، فالـكل يدين بالاسلام ويتوجه بقلبه إلى الله وبوجهه إلى القبلة . وهذه التى سموها فروقا ليست ترجع فى الحقيقة إلا لأحد أمرين ، إما لعوامل سـياسية قديمة تأثرت بها الأجيال وتوارثها الأعقاب وإما لآراء فقهية وهى قائمة حـتى اليوم وليس فيها ما يدعو الى إثارة حرب أو سـفك قطرة من دم زكى . فالحنفية والشافعية مثلا فى المعهد الواحد يتبادلون التعلم والتعليم وقـد ترى المالـكى تلميذا للحنبلى والحنفى تلميذا للشافعى دون أن يؤثر الخلاف المذهبي فى صفاء النفوس وارتباط القلوب . وأقوى ظاهرة للخلاف ما نراه بين السنة والشيعة فقـد تباعدوا وطال عليهم الأمد فى هجر بعضهم لبعض وتوالت على ذلك عصور ليست بالقليلة فكان فى الأمر متسع للأراجيف المختلفة والتمويهات الـكاذبة والدعايات الفارغة الجوفاء . وأخذ كل منهم يعزو إلى أخيه أقوالا أبعد فى التصور مما كان يشاع فى الأساطير . أليس من العجب أن يظن إنسان بإنسان أن له ذنبا كأذناب البقر أو أن يعتقد إنسان فى إنسان أنه نجس العين بينما يحكم بطهارة أكثر الحيوانات من دوابها

وأنعامها وطيورها وحيتانها ، ثم هل يصدق إنسان أن جماعة من المسلمين يعزى إليهم القول بأن جبريل الأمين من رب العالمين يخطىء الطريق و يضل السبيل ويجهل العنوان فيسلم الرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم بدل على ، والمصحف فى كل بلاد العالم يقول « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » ثم يقول « محمد رسول الله » . ولكن فقد التواصل وانعدام التقارب من شأنه أن يؤدى إلى مثل هذا العبث المُنْكَر

الاسلام أولا دين التسامح ، ومنذ نشأ الاسلام إلى اليوم عرف تسامحه لا مع الفروع من شجرته والمذاهب من ملته بل مع الخارجين عنه والتابعين لغيره من الأديان . والاسلام الذى يأمر بحسن المعاملة مع أهل الذمة والعمل على تأليف القلوب وحسن المجاملة مع المستأمنين ، الاسلام الذى كان من أول يوم يعدل أسباب المحبة والاخاء بين البشر لا يمكن أن يأذن المسلمين أن يحفر بعضهم خنادق لبعض لأن هذا أحب فلانا وذاك مال إلى

فلان . وإذا كان الاسلام هو واضع الحجر الأول فى بناء حرية الفكر فجدير به فى هذا العصر أن يكون أول من يرفع علم هذه الحرية ، وقد اتسع صدره لألوف من الآراء نشرها أصحابها فى مختلف ممالك العالم الاسلامى ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل . فجدير بالمسلمين أن يذكروا هذا التراث المجيد تراث التسامح والحرية والعمل على جمع الكلمة بدلا من تمزيقها .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أدى رسالته للعالمين وأقام الحجة لله على الخلق أجمعين ، فالاسلام يبدأ منه ويتم به وتنتهى قواعده بما أوضحه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وبهذا ينادى القرآن « اليوم أكملت لكم دينكم » . وكان على أبناء الملة وأهل القبلة أن يعلموا ذلك من صريح هذا البيان الذى يقول لهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ولكن الذى يدمى الكبود ويذيب نياط القلوب أنهم التووا عن هذه المحجة فوقعت بينهم الخصومات الأليمة ، وليس بعيدا منا مايقع بين

العلويين والدروز والمسلمين الآخرين فى جبال الشام أو بين الشافعية والعلوية فى بلاد اندونوسيا و بين الأكراد والشيعة . و إنى أكتب هذه السطورُ وأقرأ بين يدىّ فى برقيات الصحف أنباء المقاتل والاعتداءات بين السنيين والشيعة من مسلمى الهند . وقد أنبأتنا الصحف الهندية من عهد قريب عن عشرات الألوف منهم تحت التحقيق فى السجون وقتل مئات منهم . فليعلم المسلمون أن هنالك شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تلك الشجرة هى الاسلام وغارسها محمد عليه الصلاة والسلام وهم جميعا مهما اختلفوا فروع لهذه الشجرة ، فاذا تفرقت الفروع صوّحت بها العواصف حتى تسقط الأزهار والأوراق . فليس للدين الاسلامى غاية فى هـذه الدنيا سوى المحبة التى يدركون بها رضوان الله فى الدار الآجلة .

إنى لست أُنادى بإلغاء الفِرق فليس فى مقدور أحد الآن أن يفكر فى محوها و إلغائها ولـكننا نقول إنه إذا كان فى الإمكان الجمع بين أبناء الديانات المختلفة فى أعمال تتعلق

بالمصلحة العامة وإقامة دعائم الاتحاد بينهم باسم الوطنية . أفلا يمكن الجمع بين الفرق المختلفة من المسلمين باسم الوحدة الدينية ؟ أريد إذاً أن يتحرر الناس من قيود الأحقاد القديمة وأن يحسنوا المعاملة والمجاملة والتعاون فيما بينهم ، وفى مقدور كل منهم بعد ذلك أن يبين لأخيه وجه الصواب ان كان على خطأ أو الحق ان كان على الباطل ، وضرورة العقل تحكم بأنه إذا كان أحد الأخوين على خطأ وجب على أخيه أن ينهض له بالنصح لا بالحرب . فعند ما تصفو القلوب ويتوفر حسن النية يصبح التفاهم ميسورا والنجاح مقدورا . ومما يدعو إلى الغبطة والارتياح أن نرى فى الأزهر الشريف جميع المذاهب السنية فى صعيد واحد يتناولون العلوم على مائدة واحدة دون أن تقوم فى نفوسهم داعية الحقد أو تدب بينهم عقارب البغضاء . ومن الدلائل على تحرّر الهيئات العلمية الدينية فى مصر أنهم فى بعض فروع الأحكام الشرعية عمدوا إلى الاستفادة من المذاهب الأخرى فى تغيير اللوائح والقوانين فى المحاكم الشرعية لما رأوا أن تطبيق

نصوص المذاهب المعمول بها يؤدى إلى إحراج حياة الاسرة والتضييق على المجتمع بينما الدين يسر لاعسر فيه . فأى ميدان للحرية أرحب من هذا الميدان وأى دليل على النهضة العلمية فى الأزهر أسطع من هذا الدليل ؟ . وعند ما كنت أفكر فى الوسائل التى يمكن بها جمع الكلمة وضم الصفوف ونشر لواء الاخاء خفاقا على ربوع الاسلام ، رأيت بوادر هذه الأمنية وبشائر هذا العمل السعيد تطالعنا بيمن هذه المصاهرة الكريمة بين أعظم أسرتين ملكيتين فى الشرق ، مصر وإيران ولاغرو فعند ما يتحد الملوك تتحد الممالك . كان هذا القران السعيد بين أسرة جلالة المليك فاروق واسرة جلالة الامبراطور رضا شاه أعظم خطوة واسعة وأبلغ خطبة عالية وأعلى صوت ارتفع من فوق منبر الاسلام ينادى بالاخوة والترابط . ومن ذلك اليوم رأينا هذا الاخاء وقد أصبح عملا لا كلاما وحقيقة لاخيالا وإيمانا لاظنا . ثم أقول ومن ذلك اليوم ترددت فى سريرتى أسمى معانى الأكبار لجلالة مليك مصر وجلالة شاه إيران وكذلك لحضرة

الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بما ساهم فى هذا القران المبارك من أياديه الدينية البيضاء ووقف فى حفلات الاستقبال وفى عقد القران موقفا مشكورا تردد فى مصر والهند صداه وفى الشرق وإيران نداه . وحبذا لو جاء ذلك اليوم الذى يتاح فيه لجميع المسلمين على اختلاف فرقهم أن يلتحقوا بالأزهر ليتبادل الجميع أسباب الرقى العلمى والخلقى ويعظم التفاهم وتقوى الصفوف بانضمامها، فليست الفائدة من هذا ترجع إلى الاخاء وحده بل هو من أكبر دعائم السلام العام التى سيجنى العالم ثمرتها الطيبة غدا . ولقد كانت الأخوة الاسلامية من أعظم الواجبات الدينية بعد عبادة الله وقد أقام على ذلك المسلمون واستمسكوا بعراه فى عهد الرسول الكريم ومضوا على ذلك فى أيام الخلفاء الراشدين . ولما بدأت الخصومة والاضطهاد بين بنى أمية وأهل البيت اشتد التنكير للمسلمين وأهملوا المحافظة على شعائرهم وكيانهم وعزتهم وتبددوا فى الأنحاء وكثرت الخلافات والدعايات وتفننوا فى التفسير والتغيير وأخذ بعضهم يرمى بعضا بكل سهم يصيب الصميم . وأعوج

الكثير عن الصراط المستقيم إلا من رحم الله . وانتهى الناس فى عصورهم الأخيرة إلى حالة تفتت أفلاذ الصخور فما ترى فرقة من فرق الاسلام إلا وهى مكفرة لغيرها . وقد استغل المبشرون وأبالسة الالحاد هذه الثغور المفتحة أمامهم فنفذوا منها إلى القلب ودخلوا على المسلمين فى حصونهم المنيعة فرموهم بمختلف الشظايا وغمروهم بكل أنواع الدعايات المذهبية . وقد نظموا جيشهم على أساس اختلافنا وأقاموا جماعتهم على أنقاض وحدتنا و بقينا حائرين نلتمس الخلاص ونطاب النجاة ، ولونجونا من أنفسنا لما خشينا من غيرنا . وقد رأيت كما بينت آنفا أن سبب الخلاف ليس أمرا ذا بال خصوصا بين السنية والشيعية . وكما قلت قبل الآن أعيد القول بأنى لا أستطيع طمس معالم الفرق ولكنى ، أريد أن يمد كل منها يده إلى الآخر على أساس أن لكل مسلم ثم لكل إنسان بعد ذلك مذهبه مادام لا يضر الآخرين . بهذا أمر الاسلام وبهذا تقضى ضرورة العصر وبهذا تقوم الحياة فى الشرق وبهذا أيضا يبتسم النصر من جديد .

ولما كانت الأقاويل التى ينسب كثير منها الى الشيعة غير صحيح

فقد أردت بهذه البيانات التالية أن أجمل شيئا منها لايضاح
أنها ليست بغريبة فى كثير منها عن الخلافات المذهبية العادية ،
ولسبب آخر وهو أن يعرف أهل السنة شيئا عن أحوال إخوانهم
المسلمين فى البلاد النائية عنهم ، وخصوصا بعد هذه المصاهرة
السعيدة والقرابة المتينة ، حتى لايستغرب أمر يحدث مما قد يعرض
للانسان إذا رأى ما يخالف مذهبه وهو لايدرى مصدره وحقيقته .
مثالى على ذلك أننا عند أداء فريضة الجمعة قد نلاحظ أن
بعض الفرق كالشيعة الامامية لايؤدونها . وللنظرة الأولى يتبادر
إلينا أن هذا التارك للجمعة مخالف لفريضة هى من أعظم الفرائض
وأجلها ، وبذلك نقع فى سوء الظن الذى هو جرثومة الجرائم كلها ،
فاذا ما عرفت السبب وهو أن من شروط صحة الجمعة عندهم
قيام الامام المعصوم من أهل البيت تبينا أن ترك الجمعة لم يكن
عن عمد أو تقصير وإنما كان لشبهة مذهبية قد يوجد مثلها عند
غيرهم ، ففى أحد القولين مثلا عند الحنفية اشتراط المصر لصلاة
الجمعة وقد يتركها الحنفى بناء على هذا الرأى من مذهبه فلا يعد

مقصرا وأمثال ذلك كثير وله من الشواهد ألف نظير . والسبب الأول والأخير فى تقديم هذا البيان هو أننا فكرنا مع جماعة من إخوان مخلصين فى تأليف جماعة للأخوة الاسلامية من جميع البلاد الاسلامية على اختلاف مذاهبها ومشاربها ، واشترطنا أن يكون أفرادها من التابعين لمذاهب لا تخالف نص الكتاب أو صريح السنة وإجماع الأمة . وقد وجدنا فى مصر ميدانا رحيباً وحقلا خصيبا فان العدد من النزلاء وفير فى هذه البلاد . وقد تسامعت أقطار المشرق والمغرب بهذه الجماعة فاستجابوا لدعائها وأصغوا إلى ندائها ، وأعضاؤها الآن يمثلون ستاً وأربعين أمة . ومن مقاصدها : تعارف المسلمين على اختلاف بلادهم ، وتذليل المسائل المذهبية المختلف فيها بينهم وتجنب الخوض فيها والدفاع عن عقائد الإسلام ، والتقريب بين مناهج التعليم الدينى والخلقى فى الأقطار الإسلامية ، والتعاون الأدبى والمادى بين الطلبة ، والاتصال بعظماء المسلمين للتشاور فيما يتعلق بنهضة المسلمين . وإلقاء محاضرات متنوعة ، وإرسال وفود إلى البلاد الاسلامية .

وإنشاء مسكن للطلبة تسود فيه التربية الإسلامية ، والسعى فى دخول الطلبة إلى معاهد مصر والمعاهد الأخرى ، والدعوة إلى مؤتمرات عامة ، وإنشاء فروع للجماعة فى كل بلاد إسلامية ، وإجابة كل من يستفسر الجماعة عما يتعلق بالإسلام والمسلمين فى مختلف الأقطار بدون تقييد بلغة خاصة ، مع العلم بأن لغة التفاهم بين أعضاء الجماعة اللغة العربية الفصيحة ، ومركزها قبة الغورى بمصر . وقد أصدرت الجماعة على لسان أعضائها محاضرات ومقالات يعرفون بها إخوانهم بما عليه بلادهم المختلفة من أحوال وعادات حتى يتم التعارف وتنمو ثروة الثقافة وتشتد أواصر الائتلاف . وهذا الكتاب واحد من تلك الكتب التى يضعها أحد أعضائها مدفوعين إلى ذلك بواجب الثقافة الاسلامية التى تعد الأخوة أعظم وأجل وأسمى ثمرة فى روضتها المباركة . وسيوالى رجال الجماعة إصدار مؤلفاتهم عن مختلف الأقطار الاسلامية وأبطالها وزعمائها وستكون البحوث التاريخية الأدبية الحافلة ضمن موضوعاتها المتنوعة .

وقد أردت ههنا من جانبي أن ألقى شعاعاً متواضعاً على مذهب الشيعة أمام من لايعرفونه ، لأن الانسان قد يجهل ذرة فيظنها جبلا ضخماً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . وما وقعت الحرب والفتن إلا نتيجة لعدم المعرفة بالحقائق وتضخيم الخلافات البسيطة التى قد لا تعدو آراءا يهون أمرها ويتيسر الخلاص منها . فعسى أن نوفق بهذه الجهود إلى تحقيق الألفة التى ننشدها ، وبهذا يتواصل المؤمنون ولمثل هذا فليعمل العاملون .

وقبل أن أتحدث عن أصول الشيعة أحب أن يعلم القارىء أنى لم أرجع فى ذلك إلا لمؤلفات المعاصرين منهم كالعلامة الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطا النجفى والعلامة السيد محسن الأمين الحسينى العاملى . وذلك أخذاً للشىء من مصدره والعلم من معدنه ليكون أقوى فى البرهان وأسطع فى البيان . وأنا أعتقد أيضا أنه قد وجد فى الشيعة مَن غلوْا فى بعض الآراء ، ولكن لكل قاعدة شواذ وفى كل جماعة أفراد متطرفون . وقد وجد فى أهل السنة من ألَّفوا كتبا خرجوا بها عن منصوص

قاعدتهم ، وليسوا حجة على أهل السنة ولا برهانا لخصومها . فالذى نقدمه إليك أيها القارىء هو مجموعة من النصوص التى تعرفنا بحقيقة واضحة ، وتضع أصول التفاهم على أساس ثابت متين .

معنى لفظ الشيعة

الشيعة فى القاموس : شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة . ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث . وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليّا وأهل بيته ، حتى صار اسما لهم خاصا . والجمع أشياع وشيع كعنب اهـ .

قال الشيخ أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى ، من أهل القرن الرابع ، فى كتاب الفرق والمقالات (المطبوع فى استانبول) ما لفظه : جميع أصول الفرق أربع فرق : الشيعة والمعتزلة والمرجئة والخوارج . فالشيعة هم فرقة على بن أبى طالب المسمون بشيعة علىٍّ فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وما بعده [معروفون بانقطاعهم إليه والقول بامامته] . منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى وعمار

ابن ياسر ومن وافق مودته مودة على . وهم أول من سمى باسم التشيع من هذه الأمة لأن اسم التشيع قديما لشيعة إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين اه .

ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه فى وجه على بن أبى طالب وإظهاره الطلب بدم عثمان واستمالته عددا عظيما من المسلمين إلى ذلك ، صار أتباعه يعرفون بالعثمانية وهم من يوالون عثمان و يبرؤن من علىّ . أما من يوالونهما فلا يطلق عليهم اسم العثمانية . وصار أتباع علىّ يعرفون بالعلوية مع بقاء اطلاق اسم الشيعة عليهم . واستمر ذلك مدة ملك بنى أمية . وفى دولة بنى العباس نسخ اسم العلوية والعثمانية وصار فى المسلمين اسم الشيعة وأهل السنة إلى يومنا هـذا . ولم يبق فى فرق المسلمين من يبرأ من علىّ سوى الخوارج الذين يبرؤن منه ومن عثمان معا . (عن أعيان الشيعة)

وقال العـلامة محمد الحسين آل كاشف الغطا فى كتـابه (أصل الشيعة وأصولها . صفحة ٧٧) إن أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الإسلام ـ هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ـ

يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام — جنبا إلى جنب ، وسواء بسواء . ولم يزل غارسها يتعاهـدها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت فى حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته ، وشاهـدى على ذلك نفس أحاديثه الشريفة — لامن طرق الشيعة ورواة الامامية بل من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة التى لايظن ذومسكة فيها الـكذب والوضع ، فمنها مارواه السيوطى (فى كتاب الدر المنثور فى تفسير كتاب الله بالمأثور) فى تفسير قوله تعالى « أولئك هم خير البرية » قل : أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عنـد النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل علىّ فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » وأخرج ابن مردويه عن علىّ قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قول الله « إن الذين آمنوا . الخ » هم أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين اه . وروى بعض هذه الأحاديث

ابن حجر فى (صواعقه) عن الدارقطنى ، وحدّث أيضا عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياعلى انت وأصحابك فى الجنة ، أنت وشيعتك فى الجنة . وفى (نهاية ابن الأثير) مانصه فى (قمح) : وفى حديث علىّ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين ، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح اه . والزمخشرى فى (ربيع الأبرار) يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ياعلى إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله تعالى وأخذت أنت بحجزتى وأخذ ولدك بحجزتك وأخذ شيعة ولدك بحجزهم فترى أين يؤمر بنا . ولو أراد المتتبع كتب الحديث مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل وخصائص النسائى وأمثالهما أن يجمع أضعاف هذا القدر لكان سهلا عليه . قال كاشف الغطا ولو كان مراد صاحب الشريعة من شيعة على — من يحبه أولا يبغضه بحيث ينطبق على أكثر المسلمين ، كما تخيله بعض القاصرين ، لم يستقم التعبير بلفظ (شيعة) فان صرف محبة

شخص لآخر أو عدم بغضه لا يكفى فى كونه شيعة له بل لا بد
هناك من خصوصية زائدة وهى الاقتداء والمتابعة له بل ومع
الالتزام بالمتابعة أيضا ، وهذا يعرفه كل من له أدنى ذوق فى
مجارى استعمال الألفاظ العربية . وإذا استعمل فى غيره فهو مجاز
مدلول عليه بقرينة حال أو مقال ، والقصارى إنى لا أحسب
أن المنصف يستطيع أن ينكر ظهور تلك الأحاديث وأمثالها فى
إرادة جماعة خاصة من المسلمين ولهم نسبة خاصة بعلىٍّ يمتازون
بها عن سائر المسلمين الذين لم يكن فيهم ذلك اليوم من
لا يحب عليا فضلا عن وجود من يبغضه . ثم إن صاحب
الشريعة لم يزل يتعاهد تلك البذرة ويسقيها بالماء النمير العذب من
كلماته وإشاراته فى أحاديث مشهورة عند أئمة الحديث من علماء
السنة ، فضلا عن الشيعة ، وأكثرها مروى فى الصحيحين مثل
قوله صلى الله عليه وسلم علىٌّ منى بمنزلة هارون من موسى ،
ومثل لايحبك إلا مؤمن ولايبغضك إلا منافق ، وحديث الطائر ،
اللهم إئتنى بأحب خلقك إليك ، ومثل لأعطين الراية غدا رجلا

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومثل إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، وعلىٌّ مع الحق والحق مع علىٍّ . إلى كثير من أمثالها مما لسنا فى صدد إحصائه وإثبات أسانيده .

ثم لما ارتحل الرسول من هذه الدار إلى دار القرار ، ورأى جمع من الصحابة أن لاتكون الخلافة لعلىٍّ إما لصغر سنه أولأن قريشا كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة لبنى هاشم زعما منهم أن النبوة والخلافة إليهم يضعونهما حيث شاءوا ، أولأمور أخرى ، لسنا بصدد البحث عنها ، ولكنه باتفاق الفريقين امتنع أولا عن البيعة — بل فى صحيح البخارى فى باب غزوة خيبر أنه لم يبايع إلا بعد ستة أشهر ، وتبعه على ذلك جماعة من عيون الصحابة كالزبير وعمار والمقداد وآخرين . ثم لما رأى أن تخلفه يوجب فتقا فى الاسلام لايرتق وكسرا لايجبر ، وكل أحد يعلم أن عليا ما كان يطلب الخلافة رغبة فى الإمرة ، ولاحرصا على الملك والغلبة والإثرة ، وحديثه مع ابن عباس بذى قار مشهور ،

وإنما يريد تقوية الإسلام وتوسيع نطاقه ، ومد رواقه ، وإقامة الحق وإماتة الباطل ، وحين رأى المتخلفين أعنى الخليفة الأول والثانى ـ بذلا أقصى الجهد فى نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثروا ولم يستبدوا ـ بايع وسالم ، وأغضى عما يراه حقاله محافظة على الاسلام أن تصدع وحدته ، وتتفرق كلمته ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى ، وبقى شيعته منضوين تحت جناحه ومستنيرين بمصباحه . ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور لأن الإسلام كان يجرى على مناهجه القويمة ، حتى إذا تميز الحق من الباطل ، وتبين الرشد من الغى ، وامتنع معاوية عن البيعة لعلىٍّ وحاربه فى صفين وانضم بقية الصحابة إلى على حتى قتل أكثرهم تحت رايته . وكان معه من عظماء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا كلهم بدرى عقبى كعمار بن ياسر وخزيمة ذى الشهادتين وأبى أيوب الأنصارى ونظرائهم الخ الخ .

فرق الشيعة

الشيعة الامامية فرق ، منهـم الاثنا عشرية ، والـكيسانية (وقد انقرضت) والزيدية والإسماعيلية ، والفطحية (وقد انقرضت) والواقفة (وقد انقرضت أيضا) والناوسيـة (وقد انقرضت). ولـكن الاثنى عشرية هم الأكثر عددا · وكل الفرق الموجودة تقيم شعائر الاسلام ولا تخالف فى شىء من ضروريات الدين الاسلامى · أما الرافضة فهـذا اللقب يراد به التشفى والانتقام يطلقه أهل السنة على الشيعة وبالعكس . ويعنى به كل فريق أن الآخر رفض الحق وأباه .

وأحسن ما نقـل فى هذا الباب عن الامام الشافعى رضى الله عنه حيث يقول :

ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافضى

ويوجد فى كتب الملل والنحل من تآليف غير الشيعة وفيما ذكره المقريزى فى خططه عند ذكر الفرق واختلاف عقائدها أسماء لمسميات أدرجوها فى فرق الشيعة لم نسمع بها من غيرهم .

وبالغوا فى تكثير فرقها حتى قال بعضهم إن الثلاثة والسبعين فرقة أكثرها من الشيعة . وكأنهم لما نقص عليهم العدد اضطروا إلى اختراع فرق لا وجود لها ووضعوا لها أسماء من عندهم كالمقريزى الذى زعم أن فرقها بلغت الثلثمائة ولم يستطع أن يعد منها غير عشرين فرقة ، زعم أنها المشهور . على أن جملة من هذه العشرين مختلق مخترع .

انتشار الشيعة :

ظهر التشيع لعلى بن أبى طالب عند حدوث الاختلاف فى أمر الخلافة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم المهاجرون بأنهم عشيرته وقومه . وقال علىّ لما بلغه ذلك مامعناه : إن يكن ما قاله المهاجرون حقا فالحجة لنا دونهم وإلا فالأنصار على حجتهم . وتشيع يومئذ لعلى جميع بنى هاشم وبنى المطلب وانضم اليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلا أو اثنا عشر من المهاجرين والأنصار فأرادوا عليا للخلافة .

وكان من بنى أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد ابن العاص . وكان عمر بن عبد العزيز من بين ملوك بنى أمية ، سوى مايحكى عن معاوية الأصغر ، متظاهرا بالميل إلى العلويين فرفع السب عن أمير المؤمنين وردّ فدكاً إلى أولاد فاطمة .

وقال الشريف الرضى حين مر بقبره فى دير سمعان :

يابن عبد العزيز لو بكت العـــين فتى من أمية لبكيتك

أنت نزهتنا عن السب والشتم فلو أمكن الجزاء جزيتك .

وما زال عدد الشيعة يزداد حينا فحينا إلى أواخر الدولة الأموية فظهرت شيعة بنى هاشم من العلويين والعباسيين . وفى دولة العباسيين كثرت شيعة العلويين كثرة مفرطة فى الحجاز واليمن والعراق سيما الكوفة والبصرة وفى مصر وخراسان وسائر بلاد إيران لا سيما قم وغير ذلك من البلدان وأكثرهم فى الكوفة وخراسان . وما زال التشيع يفشو ويقل ويظهر ويخفى ويوجد ويعدم فى بلاد الإسلام على التناوب وغيره بحسب

تعاقب الدول الغاشمة وغيرها وتشددها وتساهلها حتى أصبح عدد
الشيعة اليوم فى أنحاء المعمور يناهز الخمسة والسبعين مليونا أى
بأكثر من خمس المسلمين بثلاثة ملايين (أعتقد أن المسلمين الآن
يزيد عددهم على خمسمائة مليون ولكن أعداء الاسلام يحاولون
انقاص عددهم ولو كذبتهم سجلات التعداد) منها نحو اثنين
وثلاثين مليونا فى الهند ونحو خمسة عشر مليونا فى مملكة إيران
ونحو عشرة ملايين فى روسيا وتركستان ونحو خمسة ملايين فى اليمن
ونحو مليونين فى العراق ونحو مليون ونصف فى بخارى والأفغان
ونحو مليون فى سوريا ومصر والحجاز ونحو سبعة ملايين فى
الصين والتبت والصومال وجاوا ونحو مليون فى الألبان وتركيا .
ومرادنا بشيعة الهند وسوريا خصوص الامامية غير الاسماعيلية
الأغاخانية ، وبشيعة اليمن مايعم الزيدية والامامية الاثنا عشرية ،
وبشيعة الألبان غير البكتاشية . وكان بعض أفاضل جبل عامل
عدهم فى مجلة المقتبس تسعين مليونا مريدا بهم مايعم الاثنى
عشرية والزيدية والاسماعيلية والبكتاشية وغيرهم . (أعيان الشيعة)

خلاصة عقيدة الشيعة الاثنى عشرية : الشيعة الامامية

الاثنا عشرية يشهدون أن لا إله إلا الله وأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد وأنه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص وأنه ليس كمثله شيء وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ، ويوجبون معرفة ذلك بالدليل والبرهان ولا يكتفون بالتقليد ، ويؤمنون بجميع أنبياء الله ورسله وبجميع ماجاء به من عند ربه ويقولون إن عليا وولده الأحد عشر أحق بالخلافة من كل أحد وانهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين . فان كانوا مصيبين فذلك ، وإلا لم يوجب قولهم هذا كفرا ولا فسقا لاسيما أن إمامة شخص بعينه ليست من أصول الإسلام بالاتفاق من الشيعة وغيرهم . أما غيرهم فواضح لأنهم لا يوجبون إمامة شخص بعينه وإنما يوجبون أصل الامامة ويحصرونها فى قريش . وأما الشيعة فإنهم وإن أوجبوا إمامة الأئمة الاثنى عشر ، لكن منكر أئمتهم عندهم

ليس بخارج عن الاسلام وتجرى عليه جميع أحكامه . ويقولون بوجوب أخذ أحكام الدين من كتاب الله بعد معرفة ناسخه من منسوخه وعامه من خاصه ومطلقه من مقيده ومحكمه من متشابهه ، وما ثبت من سُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم بالتواتر أو رواية الثقات ، ومذاهب الأئمة الاثنى عشر ، أو أقوال المجتهدين الثقات الأحياء وهذا على فرض خطئهم فيه لا يوجب الخروج عن الأسلام . ويقولون بعصمة الأئمة الاثنى عشر وبحياة المهدى وأنه موجود بين الخلق كحياة الخضر وإدريس وعيسى عليه السلام وإبليس والدجال . وسواء أخطأوا فى ذلك أو أصابوا فهو لا يوجب كفرا ولا خروجا عن الاسلام . ويقولون إن كل من شك فى وجود البارى تعالى أو وحدانيته أو فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم أو جعل له شريكا فى النبوة فهو خارج عن دين الاسلام ، وكل من غالى فى أحد فى الناس من أهل البيت أو غيرهم وأخرجه عن درجة العبودية لله تعالى أو أثبت له نبوة أو مشاركة فيها أو شيئا من صفات الإلهية فهو خارج عن ربقة الاسلام . ويبرءون من جميع الغلاة والمفوضة وأمثالهم .

وعمدة ماينقمه غير الشيعة عليهم دعوى القدح فى السلف أو أحد ممن يطلق عليه اسم الصحابى . والشيعة يقولون إن احترام أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم من احترام نبينا ، فنحن نحترمهم جميعا لاحترامه ، وذلك لايمنعنا من القول بتفاوت درجاتهم وأن عليًا أحق بالخلافة من جميعهم . وأنتم تقولون إن بعضهم و إن شهر السيف فى وجه البعض وقتل بعضهم بعضا وسب بعضهم بعضا وبغى بعضهم على بعض فكلهم مجتهدون معذورون والقاتل والمقتول والظالم والمظلوم والباغى والمبغى عليه كلهم فى الجنة ، والمصيب منهم أجران وللمخطىء أجر واحد . ونحن نقول أمرهم إلى ربهم العالم بسرهم وجهرهم وعلينا أن نحترمهم احتراما لنبينا صلى الله عليه وسلم . وليسعنا من العذر فى قولنا بتفاوت درجاتهم وتقديمنا عليا عليهم فى استحقاق الخلافة ماوسعهم من العذر فى شهر بعضهم السيف فى وجوه بعض وقتل بعضهم بعضا وسب بعضهم بعضا و بغى بعضهم على بعض . و إذا ساغ لهم الاجتهاد فى ذلك ساغ لنا . فأحكام الله فى الناس واحدة وشرائعه عادلة ورحمته واسعة تسع الجميع

ولانسع قوما وتضيق عن آخرين فان أصبنا فيما قلناه فلنا أجران
وإن أخطأنا فلنا أجر واحد ، والمخطىء والمصيب منا ومنكم
فى الجنة . ولايسوغ فى قانون العدل وأحكام العقل أن يفتح الله
باب الاجتهاد للسلف على مصراعيه يستحلون به سفك الدماء
وقتل النفوس ونهب الأموال ويكونون بذلك مأجورين ويغلقه
فى وجوه غيرهم فلا يفتح لهم منه ولو مثل سم الخياط . ان هذا
مناف لعدله وشمول فضله وأنه ليس لأحد عنده هوادة . فبان
أنه لامساغ لتضليل الشيعة وإخراجهم عن ربقة الاسلام من هذه الجهة
وهى أهم مافى الباب إذا تمسكنا بذيل التقليد للآباء والأجداد
وعرفنا الأقوال بالرجال ، وهذا مما نهانا عنه الله ورسوله وعقولنا .

وتعتقد الشيعة بالبعث والحساب والجنة والنار والصراط
والميزان وكل ما أخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم . أما
فروع الدين وواجباته ومحرماته التى هى من الضروريات فكلنا
فيها شرع سواء وكلنا نؤمن بكتاب واحد لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ونصلى مستقبلين

الكعبة ونقول بوجوب خمس صلوات بأعداد ركعاتها الظهر ، وتقوم مقامها الجمعة إذا صليت صحيحة جامعة للشرائط ، والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، وبوجوب الوضوء لها والغسل من الجنابة والحيض ويقوم مقامهما التيمم عند عدم وجدان الماء ، وبوجوب الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا ، وبوجوب الزكاة بشروطها المقررة ، وبوجوب صوم شهر رمضان ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، الى غير ذلك من الواجبات والمحرمات الثابتة بضرورة الدين .

وتقول الشيعة بوجوب الزكاة فى الأنعام الثلاث الإبل والبقر والغنم وفى النقدين الذهب والفضة وفى الغلات الأربع الحنطة والشعير والتمر والزبيب كل ذلك بشروطها المذكورة فى محلها ، وبوجوب الجهاد لحفظ بيضة الإسلام ، وبوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والبر بالوالدين وصلة الأرحام وأداء الأمانة ، وبحرمة الزنا واللواط وشرب الخمر والغيبة والنميمة وقذف المحصنات ونكاح المحارم وتزوج ما زاد عن أربع نسوة وشهادة الزور وأكل

المال بالباطل وإيذاء الناس وتعطيل الحدود وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وأكل مال اليتيم والغش والخيانة والكذب والظلم وأخذ الربا والتقول على الله بغير علم والتنابز بالألقاب وغير ذلك من الواجبات والمحرمات التى تثبت فى دين الإسلام . فبماذا تضللوننا أيها الاخوان وتعادوننا وتنابذوننا وتنابزوننا بالألقاب . ألم تسمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : من كفّر مسلما فقد باء به أحدهما .

فهل أنكرنا الخالق أو جعلنا له شريكا أو عبدنا غير الله أو وصفنا بغير ما يجب أن يوصف به أو أنكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عصمته أو أنكرنا شيئا من ضروريات الدين الثابتة عند جميع المسلمين . أليس إلهنا وإلهكم واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة وصلاتنا وحجنا إلى كعبة واحدة وصومنا فى شهر واحد وصلاتنا واحدة وواجباتنا واحدة ومحرماتنا واحدة . وإذا جاز لكم أن تجتهدوا فى صحة المسح على الخفين ، وهو غير مذكور فى القرآن ، جاز لنا أن نجتهد فى صحة المسح على الرجلين

مع اعتقادنا أنه مذكور فى القرآن . فهل تعبدون الله ونحن
نعبد الأصنام وهل نبيكم محمد ونبينا شعيب ، وكتابكم القرآن
وكتابنا التوراة ، وصلواتكم خمس وصلواتنا ست ، وقبلتكم الكعبة
وقبلتنا بيت المقدس ، وحجكم إلى مكة وحجنا إلى عكا ، وصلاة
الظهر والعصر والعشاء عندكم أربع ركعات وعندنا خمس أو
ثلاث ، وصلاة المغرب عندكم ثلاث وعندنا أربع أو اثنتان ،
وصلاة الصبح عندكم اثنتان وعندنا واحدة أو ثلاث ، وهل
صومكم فى شهر رمضان وصومنا فى شعبان . كلا والله لسنا
كذلك ولكننا داخلون فى قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »
وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن أخو المؤمن . المؤمن للمؤمن
كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » . نسأله تعالى أن يلهم
المسلمين ما فيه الائتلاف والاتحاد لا سيا فى هذه الأعصار العصبية
عليهم وهو ولى التوفيق . (أعيان الشيعة ج ١ ص ٩١ — ٩٥)

وفى البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه قال أتيت النبى
صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته

وقد استيقظ ، فقال مامن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر .

اتفق المسلمون قديما وحديثا على عدم جواز تكفير أحد من أهل الشهادتين وتضافرت على ذلك أقوال الأئمة والعلماء جيلا بعد جيل ، فقد ذكر الشعرانى فى اليواقيت والجواهر فى المبحث ٥٨ أقوالا كثيرة ملخصها أن القول بالتكفير أمر شنيع لايليق إلا بمن اتخذ غير الاسلام دينا . وقد نقل عن شيخ الاسلام تقى الدين السبكى أن الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وان كل من خاف الله استعظم القول لمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم أورد الشعرانى جواب السبكى بكلام طويل جاء فى آخره : فما بقى الحكم بالتكفير إلا لمن اختار الكفر دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة .

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي فى باب الوصايا من فتوحاته إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فان لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض من الخطايا وهم لايشركون بالله شيئا ، فان الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته — وأطال إلى أن قال : وإذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار ، فليمحه بالتوحيد ، فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لابد من ذلك . وهذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذى وصححه ورواه بالاسناد إلى أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يابن آدم ، إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك ، على ما كان منك . ولاأبالى ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا ، لآتيتك بقرابها مغفرة اه . وهذا الحديث ذكره الفاضل النووى فى أربعينه .

وقال الفاضل السيد رشيد رضا فى صفحة ٤٤ من المجلد

السابع عشر من مناره : إن من أعظم ما باين به الفرق الإسلامية رمى بعضهم بعضا بالفسق والكفر مع أن قصد كلّ الوصول إلى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة إليه ، فالمجتهد وإن أخطأ معذور — وقد أطال الكلام فى هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهانى البيروتى فى أوائل كتابه شواهد الحق : اعلم أنى لا أعتقد ولا أقول بتفكير أحد من أهل القبلة ، لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون ، تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من دين الاسلام إلى آخر كلامه . وعقد العارف الشعرانى ، فى الجزء الثانى من اليواقيت والجواهر ، مبحثا مسهبا لثبوت الإيمان لكل موحد يصلى إلى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ قال فى آخره : فقد علمت يا أخى مما قررناه لك فى هذا المبحث ، أن جميع العلماء المتدينين ، أمسكوا عن القول بالتفكير لأحد من أهل القبلة اهـ .

ونقل جماعة كثيرون منهم الشعرانى فى المبحث المتقدم ذكره عن أبى المحاسن الرويانى وغيره من علماء بغداد قاطبة ، إنهم كانوا يقولون ، لا يكفر أحد من المذاهب الإسلامية ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اه .

قال ابن تيمية فى أوائل رسالة الاستغاثة وهى ازرسالة ١٢ من مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٧٠ ما هذا لفظه : ثم اتفق أهل السنة والجماعة على أنه صلى الله عليه وسلم يشفع فى أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد فى النار من أهل التوحيد أحد اه .

وكان أحمد بن زاهر السرخسى ، وهو أجل أصحاب الإمام أبى الحسن الأشعرى ، يقول ، (فيما نقله الشعرانى عنه فى أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته) لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعرى الوفاة بدارى فى بغداد ، أمرنى بجمع أصحابه ، فجمعتهم له ، فقال : اشهدوا على أننى لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ، لأنى رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد ، والاسلام يشملهم ويعمهم .

وقال شيخ الاسلام المخزومى : (فيما نقله الشعرانى عنه فى المبحث ٥٨ من يواقيته) قد نص الامام الشافعى على عدم تكفير أهل الأهواء فى رسالته ، فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب . وأجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج .

وقال العلامة ابن عابدين فى باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة برد المحتار ، ما هذا لفظه : وذكر فى فتح القدير ، أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ، ويكفرون الصحابة ، حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة قال وهذا يقتضى نقل إجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اه .

وقد ألف العلامة الكبير الملا على القارى الحنفى رسالة فى الرد على من يكفر المتأولين بذلك كما نص عليه ابن عابدين .

وقال ابن حزم فى صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سب أحدا من الصحابة رضى الله عنهم ، فإن كان جاهلا معذور ، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند ، فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وإن عاند الله

تعالى فى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر ـ قال وقد قال عمر رضى الله عنه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم عن حاطب ، وحاطب مهاجرى بدرى ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا ، بل كان مخطئا متأولا اه .

وفى الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، نقلا عن القاضى إسماعيل وغير واحد من الأئمة ، أن رجلا سبّ أبا بكر بمحضر منه رضى الله عنه فقال له أبو برزة الأسلمى ، يا خليفة رسول الله ، دعنى أضرب عنقه ، فقال اجلس ، ليس ذلك لأحد ، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى ذلك الباب من الشفاء أيضا ، أن عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة ، استشاره فى قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه لا يحل قتل امرىء مسلم ، بسب أحد من الناس ، إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه اه .

(وإذا أردت المزيد فطالع « الفصول المهمة فى تأليف الأمة »)

مما سبق يتبين لك أن تكفير المسلمين الموحدين خطر شنيع وبهتان عظيم . وقد وقع هذا التكفير بدافع الحقد الدفين أو الحسد الدنى والتكالب على مناصب الدنيا وحطامها والتقليد الطائش .

وقد أبنا فى هذا البحث المجمل بعض ما يتعلق بالشيعة وأصولها . ولهم بعد ذلك مذهبهم الخاص فى الفروع الفقهية ، ولا يزال عندهم باب الاجتهاد مفتوحا . والذى نرجوه بعد هذا أن يعتبر المسلمون بما سببته اختلافاتهم من الحوادث وأن يعملوا على جمع كلمتهم وتوحيد نهضتهم وأن يتبادلوا بينهم العلوم ووسائل التجارة والصناعة حتى يرجع إليهم عزهم الأول ويفوزوا بنصرهم القريب وما ذلك على الله بعزيز .

استدراك

نبهنا حضرة الاستاذ الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام إلى أنه ورد فى الكتاب بعض كلمات إيرانية محرّفة. فأردنا أن ننبه إليها هنا لكمال الفائدة .

ص		
٣	الزاردشت	زاردشت
١١	تاهمسب	طاهمسب
١١	دمجان	دامغان
١١	حيرات	هرات
١٧	غازنى	غزنه
٢٠	بندر أبى شهر	بوشير
٢٢	كمال الدين	جمال الدين (الأفغانى)
٢٧	سلطان محمد شاه	سلطان احمد شاه
٣١	اراميا	ارميه
٣٧	كيتشيك	كوچك
٦٤	ازربيجان	آذربيجان
٦٦	كيزيل	قزل
٥٧	جارمسير	گرمسير
٩١	عبدان	عبادان

١٩	الأحواص	الأهواز
١٠١	رامهورمس	رامهورمز
١٠٣	فوروجى	فروغى
١٢٩	البروس	البُرز
١٣١	كاشجان	كاشان
١٣٤	الكاشغار	القاجار
١٤٩	الكران والتمان	القران والتومان

أخطاء مطبعية

ص	خطأ	صواب
٢	وكان آخر ملوك	وكان من أواخر ملوك
١٤	ثم أعقبه الشاه محمد	وكان هذا الشاه محمد
٥٠	وتسائلا	وتساءلا
٦٨	فتزكى	فنذكى
٦٩	استبقائه	استبقاؤه
٧٩	كثيرون	كثيرين
٨٧	أعلا قلادة	أعلى قلادة
٨٨	منشوه	منشئه
٩٣	اخفاق الحملة	فى اخفاق الحملة
١٥٦	اللتان	اللتين
١٥٧	فى إيران البلاد	فى بلاد إيران
١٧٣	إن كل مسلم	إن الكل مسلم

طبع فى مطبعة حجازى بالقاهره

والصور والغلاف طبعت فى مطبعة وديع أبو فاضل بمصر

